السبت 20 كانون الثاني 2024
العدد 5112 السنة الثامنة عشرة
Samedi 20 Janvier 2024 no 5112 18ème année

24 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

لا لقمع صوت فلسطين

باسيل: لن أنتخب فرنجية في أيّ وقت [12]

أميركا - إسرائيل
«بيبي» تحوّل إلى عقبة؟

02
«خطة» نتنياهو لليوم التالي: حرب اسمية وترحيل بالمعاناة

04
عودة القتال إلى شمال غزة: المقاومة «تجوّد» أداءها

08
شهادات من الميدان: عيون تغمض ولا تنام

(أ ف ب)

طوفان الأقصى

«خطة» نتنياهو لليوم التالي: حرب اسمية... وترحيل بالمعاناة

يحيى دبوق

مع مضيّ 15 أسبوعاً على بدئها، تبدّلت أهداف الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة؛ فبدلاً من إسقاط حُكم «حماس» وتفكيك الحركة وإعادة الأسرى الإسرائيليين، كما «تغيير الشرق الأوسط» برمّته، أضحى استمرار الحرب بذاتها الهدف الأعلى لدى رأس الهرم السياسي في تل أبيب، بنيامين نتنياهو، وائتلافه الفاشي «المنفصل عن الواقع»، وفق توصيفات الإعلام العبري. بالنسبة إلى هؤلاء، فإن أيّ قرار يُتّخذ استناداً إلى معادلات الواقع، من شأنه أن يتسبّب بإنهاء ائتلافهم، وتالياً سقوط الحكومة والتوجّه إلى انتخابات مبكرة. وما تقدّم، لا يشكّل خسارة شخصية فحسب، بل أيضاً هزيمة استراتيجية من منظور عقائدي يميني، تستفيد منها جهات إسرائيلية أخرى، تتطلّع إلى تحقيق مصالح إسرائيل عبر التسويات.

ومع ذلك، لا يتطلّع نتنياهو إلى استمرار الحرب بما لا يقوى عليه جيشه، بل إلى حرب استنزاف تبقيه وائتلافه في السلطة، من دون الإضطرار لدفع أثمان عالية. فهل يحقّق الرجل وائتلافه هذه الغاية؟ تبدو الأمور وكأنها تكرار لما كانت عليه الحال قبل بدء العملية البرية، أي أن الأهداف في مكان والإمكانات في مكان آخر. لكن الرهان على عامل الوقت والمتغيّرات غير المنظورة، يكفي لإبقاء الواقع على ما هو عليه، مع تغييرات في الميدان وفي طبيعة المواجهة، يتمنّى نتنياهو وكبار مسؤولي حكومته وجيشه، أن تحقّق الغاية المنشودة. وانطلاقاً من ذلك، يسعى الجيش الإسرائيلي إلى فرض وقائع على الأرض تتيح له الاستمرار في المواجهة المنخفضة المستوى لأشهر طويلة، وهو ما يعمل على تحقيقه منذ أسابيع، على الشكل الآتي:

- إنهاء المرحلة الثانية من العملية البرية، والانتقال - مع أو من دون تحقيق أهداف هذه المرحلة - إلى الثالثة الأقلّ كثافة قتالية، وهو ما تحقّق في شمال القطاع مع إنهاء الانسحاب من معظم المناطق التي جرت السيطرة عليها، فيما يُتوقّع أن تبدأ الانسحابات في وسط القطاع خلال الأيام القليلة المقبلة. كذلك، فإن التطلّع إلى «تسوية ما» في منطقة رفح، والمناطق المتاخمة للحدود مع مصر، سيعني فصل القطاع عن الجانب المصري فصلاً تاماً، لا يمكّن الفلسطينيين من نقل أيّ سلعة أو مادة إلا عبر المعابر المسيطر عليها إسرائيلياً، بشكل مباشر أو غير مباشر، بواسطة القوات المصرية الوكيلة.

- انسحاب القوات الإسرائيلية إلى الحدود، مع الاحتفاظ بحزام أمني بعمق كيلومترين يكون خالياً من الوجود الفلسطيني، وهو ما يفسّر عمليات الهدم والتجريف وتسوية بعض المناطق المتاخمة للحزام بالأرض، بدءاً من الشمال ووصولاً إلى الجنوب، بما يشمل مناطق من الشجاعية، وكذلك في وسطها، وتحديداً منطقة خزاعة التي يعمل الاحتلال على جرفها بالكامل، فيما لا يزال التجاذب قائماً تجاه أقصى جنوب القطاع، حيث على إسرائيل الأخذ في الاعتبار مصلحة النظام المصري وبالتبعية الأميركي.

- فصل شمال القطاع عن جنوبه في وادي غزة، في المنتصف تماماً، سواء عبر النيران عن بعد، و/ أو عبر السيطرة المباشرة على أكثر من نقطة تحكّم وسيطرة يجري الاحتفاظ بها مبدئياً، مع العمل على منع المدنيين الفلسطينيين من العودة إلى شمال القطاع، بما يشكّل رافعة ضغط لدفع «حماس» إلى تقديم تنازلات في ملفّ الأسرى، وكذلك محاولة تأليب الفلسطينيين على الحركة.

- إقناع مستوطني «غلاف غزة» بالعودة، تحت إغواء إبعاد «حماس» عن الحدود وإنشاء «الحزام الأمني». وإذا تحقّق ذلك، سيُعدّ أهمّ ما في هذه الاستراتيجية من أهداف، كونه سيمكّن نتنياهو من مواصلة الحرب بلا قتال، مع البقاء السياسي أطول مدّة ممكنة، بلا ضغوط مباشرة من المستوطنين، وسيسلب «حماس» ورقة ضغط كبيرة جداً، وفقاً للمنظور العام الإسرائيلي.

> **لا يتطلّع نتنياهو إلى استمرار الحرب بما لا يقوى عليه جيشه، بل إلى حرب استنزاف تبقيه وائتلافه في السلطة**

تحقيق ما تقدَّم، من شأنه السماح بمواصلة الحرب بوتيرة منخفضة، وهو ما يمكّن الجيش الإسرائيلي من تسريح جزء كبير جدّاً من الاحتياط، وإزالة أحد عناصر الضغط عن اقتصاد الكيان. وهكذا، يأمل نتنياهو، من وراء استراتيجيته، بمعية كبار مسؤولي جيشه، في أن يؤدي هذا الإجراء، وغيره، إلى تقليص الضغط الداخلي عليه، وكذلك الدولي، وتحديداً الأميركي، حيث تصرّ واشنطن على «تنازلات» منه، تُعدّ انتحاراً سياسيّاً له وائتلافه. ووفقاً للتصوّر المشار إليه، لا يعود مهمّاً اليوم الذي يلي في غزة، من ناحية الترتيبات السياسية والأمنية التي يطالب بها من ليسوا في الحكومة الإسرائيلية؛ إذ يسعى الائتلاف إلى إبقاء غزة ميدان لاجئين، تُدار عبر الوكالات الإغاثية، في رهان على «ترانسفير» تلقائي، نتيجة المعاناة المتفاقمة، إلى خارج القطاع.

لكن هكذا استراتيجية لا تعيد الأسرى الإسرائيليين، إلا قتلى وبالمفرّق، وهو ما يمنع نتنياهو وائتلافه من بلورة رواية انتصار يُبنى عليها التراجع الذي يعمل عليه. في المقابل، يتفشّى اليأس من القتال ومن إمكانية تحقيق أهدافه لدى الجمهور الإسرائيلي الذي خفّض سقف توقعاته العالية جداً، وأيضاً لدى النخبة الإسرائيلية التي تبنّي مواقفها استناداً إلى مصالح «الدولة»، حيث بات الإدراك شبه جامع: استمرار الحرب لا يلغي تداعيات فشلها، بل إن استمرارها يقضم ما تحقّق عبرها من إنجازات تكتيكية، كان بالإمكان الاكتفاء بها والبحث عن ما هو أقلّ سوءاً من المخارج السياسية. وينسحب ذلك أيضاً على المعارضين لنتنياهو، من القوس السياسي الواقع خارج الائتلاف، بل والجهات التي شاركته ائتلافه، كما هو حال بيني غانتس وغادي آيزنكوت، اللذين باتا يتطلّعان إلى بدائل لإنهاء حكم نتنياهو، بما يتلاقى مع الرغبة، وأيضاً «التخطيط» الأميركي لإسقاطه وحكومته، كسبيل بات شبه وحيد، للخروج من الحرب بأقلّ الخسائر الممكنة.

استراتيجية نتنياهو لا تعيد الأسرى الإسرائيليين، إلا قتلى وبالمفرّق (أ ف ب)

إسرائيل «عالقة» في الفراغ: لا إستراتيجية خروج

بيروت حمود

يسيطر في أوساط الجيش الإسرائيلي، هذه الأيام، مصطلح «عالقون»، وهو معادل، وفقاً للمحلل السياسي لصحيفة «يديعوت أحرونوت»، ناحوم برنياع، لـ«التباطؤ (في العمليات الحربية)» غير أنه «أقل تفاؤلاً بكثير». ويعود السبب في ذلك إلى عدم استعداد قادة الحرب، وفي مقدمتهم رئيس الوزراء، بنيامين نتنياهو، لصياغة تصوّر يضع الملامح الأوليّة لـ«اليوم التالي» للحرب. وبدأت تتجلى نتائج هذا الوضع في سياقات عديدة، منها الشواهد المسجّلة في شمال قطاع غزة، بعدما تركه الجيش الإسرائيلي لـ«الفراغ». فمع تقليص الأخير قوّاته المنتشرة في المناطق الشماليّة، افتُتح، أخيراً، سوق في جباليا، الذي يديره، بحسب برنياع «ناشطون غير مسلحين في حركة حماس»، فيما «وحدات الجيش تقف جانباً؛ إذ إن الأوامر العسكرية تحظر إطلاق نار على أشخاص غير مسلحين إلا في حالة كان هؤلاء من المستوى القيادي (في المقاومة)»، علماً أن الجيش ذاته لم يكتفِ بإطلاق النار على فلسطينيين بينهم أطفال كانوا يرفعون رايات بيضاء فقط، وإنما فعل ذلك مع أسراه أيضاً في حوادث مماثلة، بينما يشن هذه الحرب بهدف «استعادة هؤلاء أحياء»، كما يقول.

وبعدما أُريد، وفقاً للخطط الإسرائيلية - الأميركية، أن يكون شمال غزة بمثابة مختبر لـ«تجربة» الإدارة الذاتية من دون «حماس»، أحبط رفض نتنياهو وجناحه اليميني المتشدد، مناقشة «اليوم التالي»، هذه التجربة: «ففي الحياة ما من فراغ»، وفقاً لبرنياع، فضلاً عن أنه ثمة ما بين 100 و150 ألف فلسطيني لا يزالون يحيون هناك، على رغم تهجير إسرائيل للغالبية العظمى من سكان المناطق الشمالية، وبالعودة إلى سوق جباليا، رأى برنياع أن إدارة ناشطي «حماس» للسوق «تشكل مؤشراً إلى بدء استعادة الحركة للمناطق الشمالية»، لافتاً إلى أنه بينما تركز إسرائيل على استهداف الأنفاق، فإن «حماس» تعيد عملياً تأسيس حكمها من خلال السيطرة المدنية، ولاحقاً تأتي السيطرة العسكرية».

ما تقدم، يُضاف إلى شواهد أوردتها «إذاعة الجيش»، قبل أيام، تثبت، وفقاً لها، قدرة الحركة على إعادة تأهيل قدراتها السلطوية والعسكرية؛ إذ وفقاً لما نقلته عن مصادر في أجهزة الأمن الإسرائيلية، فإن الأخيرة ترصد اتجاهاً «مقلقاً» لمحاولة الحركة ترميم قدراتها في الشمال، من بين مظاهره إعادة تأهيل قوات الشرطة بغية بسط سيطرتها على هذه المناطق. وأدعت الإذاعة أن جميع شاحنات المساعدات التي تصل إلى شمال القطاع وجدت طريقها أيضاً إلى «أيدي حماس»، التي تعمل أيضاً على استعادة سيطرتها العسكرية، وهو ما يدلّ عليه «ضبط الجيش 60 صاروخاً معداً للإطلاق في بيت لاهيا، وعدد من عناصر حماس في مخيم الشاطئ، فضلاً عن إطلاق عشرة صواريخ (قبل أيام) من بيت حانون نحو سديروت». وعلى هذه الخلفية، تساءلت الإذاعة حول توقيت التحوّل إلى العمليات الجراحية المُركزة، وما لو كان من الأفضل التروّي وإبقاء قوات كبيرة في المنطقة، وخصوصاً أن «اليوم التالي لم يُناقش، فيما بدا هذا اليوم بالفعل في شمال القطاع».

> **ينسحب غياب الاستراتيجية على نقطة جوهرية أخرى، هي محور «فيلادلفيا»**

ما يحدث حالياً في المناطق الشمالية، كان حذّر منه، رئيس أركان الجيش، هرتسي هليفي، مطلع الأسبوع؛ إذ شدد، وفقاً لـ«القناة 13»، على أن غياب الاستراتيجية السياسية للحكومة قد يكون سبباً لـ«تآكل الإنجازات التي حققها الجيش»، محذراً من احتمالية أن «يضطر الجيش للعودة إلى المناطق التي أنهى فيها القتال».

وينسحب غياب الإستراتيجية على نقطة جوهرية أخرى، هي محور «فيلادلفيا» الذي يُعد «شريان الحياة بالنسبة إلى حماس. فطالما بإمكانها تهريب أسلحة ومال وأفراد من خلاله، يعني أنها باقية على قيد الحياة وتنبض، وتسيطر»، بحسب برنياع، الذي لفت إلى أنه لإغلاق المحور «إسرائيل بحاجة إلى مصر». وإذ يبدي رئيس الأخيرة، عبد الفتاح السيسي، «موافقة ليس فقط على استكمال عمليات إسرائيل في الجانب الغزي من الحدود، وإنما على إنشاء حزام أمني موازٍ في الجانب المصري». غير أنه «يضع شرطاً، بأن تتعهد إسرائيل بضلوع السلطة الفلسطينية في غزة في اليوم التالي للحرب، فيما يرفض نتنياهو منحه هذا التعهد. وحتى إنه يرفض مناقشة ذلك»، وفقاً للكاتب.

وأشار برنياع إلى أن الأوساط العسكرية أملت في أن يحل المستوى السياسي ثلاث مسائل شديدة الأهمية: محور «فيلادلفيا»؛ الجهة التي ستدير القطاع في اليوم التالي؛ وتطبيق القرار 1701 في جنوب لبنان. وطبقاً للكاتب، فإن الإدارة الأميركية تعمل على خطة «اليوم التالي»، والتي «تبدأ بغزة وتنتهي بتطبيع بين تل أبيب والرياض. وتشمل قوة متعددة الجنسيات أو مؤلفة من عدّة دول عربية مهمتها السيطرة مؤقتاً على غزة، على أن تستبدل في وقت لاحق بهيئة فلسطينية محلية في إطار سلطة فلسطينية متجددة». وإذ «يستوجب ذلك انسحاب الجيش الإسرائيلي من القطاع، فإن نتنياهو يرفضه من أصله»، علماً أنه من دونه «لن يكون للدول العربية مصلحة في إرسال جنود أو استثمار أموال في إعادة إعمار غزة. وبالتالي لا إعمار ولا تطبيع».

إضافة إلى ما سبق، إسرائيل «عالقة» في ما يخص موضوع أسراها أيضاً؛ إذ بحسب برنياع «لا أدلة على أن الضغط العسكري يليّن موقف السنوار. والخطأ الاستراتيجي (الذي ارتكبته إسرائيل) يتمثل في عدم إدراك قدرات السنوار وحركته. وهو الخطأ الذي قادنا إلى إخفاق 7 أكتوبر». وأضاف أنه «في جميع الأحوال، ندرك اليوم أن حماس لن تختفي، وليس في السنة القريبة بكل تأكيد، كما أن إطلاق القذائف الصاروخية سيستمر»، مستنتجاً أنه من الصحيح أن لكل قرار ثمناً، ولكن «عدم اتخاذ القرار، الذي هو استراتيجية نتنياهو، أمر أخطر».

ما يحدث حالياً في المناطق الشمالية، كان حذّر منه، رئيس أركان الجيش، هرتسي هليفي (أ ف ب)

مساعٍ «ديموقراطية» لعزل ماكغورك

يصبّ الزيت على نار الحرب

في وقت تتعرض فيه الإدارة الأميركية لانتقادات خارجية وداخلية حادة، على خلفية السياسة التي تنتهجها إزاء الحرب على غزة، والتي دفعت بشعبية الرئيس جو بايدن إلى أدنى مستوياتها، على أبواب الانتخابات الرئاسية، يبدو أنّ منسق شؤون الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في «مجلس الأمن القومي»، بريت ماكغورك، الذي يقود منذ مدة، بمساعدة عدد من الخبراء، عملية التخطيط الأميركية لمستقبل الحرب في القطاع، سيكون آخر ضحايا السياسة المشار إليها. إذ طبقاً لما نقلته صحيفة «هافينغتون بوست» الأميركية عن مسؤولين أميركيين كبار، فإن «نقمة» متزايدة، ولا سيما في أوساط الأعضاء التقدميين في «الحزب الديموقراطي»، أصبحت تحيط بماكغورك، وسط اتهامات له بالتعامل مع الأحداث الأخيرة بأسلوب «يقوض» إلى حد كبير، مكانة بايدن، ويتسبب بتفاقم «الخسائر الإنسانية». وعليه، يناقش الديموقراطيون في «مجلس النواب» مطالبة الرئيس بالدفع في اتجاه استقالة ماكغورك، علماً أنّه تم كتابة مسوّدة في هذا الصدد، ومن المتوقع أن تحصل على ما بين 10 إلى 15 توقيعاً، على أن يتم الأسبوع المقبل، توزيع الرسالة على نطاق أوسع، وطرحها في الاجتماع القادم لـ«التجمع التقدمي الفرعي» في الكونغرس، والذي يضم أكثر من 100 عضو.

وتركز هذه الانتقادات، بشكل أساسي، على رهان ماكغورك على التوصل إلى صفقة سعودية - إسرائيلية، باعتبارها «السبيل الأمثل لإحلال السلام في الشرق الأوسط». وطبقاً لـ«هافينغتون بوست»، فإنّ العديد من المسؤولين الأميركيين يعتبرون أنّه من غير المرجح أن يُكتب لخطة المستشار الأميركي النجاح، مشيرين إلى أنّه حتى في حال نجاحها، فهي ستكون بمثابة تجاهل لمعاناة الشعب الفلسطيني، وستنثر «بذور العنف» في أوساطه. كما أنّ خطة ماكغورك «الطموحة» هذه، تأتي في ظل غياب أي مؤشرات إلى أي تجاوب إسرائيلي معها، إذ نفى رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، الحديث، علناً، إمكانية تبنيها، مؤكداً أنّ «إسرائيل لن تقبل بإقامة دولة فلسطينية، أو حتى الحكم الذاتي الفلسطيني المحدود في القطاع»، والذي يتماشى مع تصورات ماكغورك.

على أنّ مساعي ماكغورك الأخيرة ليست بمستغربة، باعتبار أنّه كان دائماً من الأصوات المؤيدة للسعودية داخل الإدارة الأميركية، بحسب الصحيفة نفسها، التي كانت قد كشفت في كانون الأول، أنّ المسؤول الأميركي الكبير يضغط على بايدن لرفع الحظر المفروض على تصدير الأسلحة الهجومية إلى الرياض. وتدور الانتقادات الأخرى الموجهة إليه، طبقاً لمسؤولين أميركيين سابقين وحاليين، حول مساعيه «الخاطئة» لتعميق العلاقات بين الولايات المتحدة والسعودية سابقاً، على الرغم من عدم استجابة الأخيرة للمطالب الأميركية حول خفض أسعار النفط، قبل الانتخابات النصفية الأميركية، نتيجةً «لتقربها من بكين وموسكو»، ما أضر بـ«الحزب الديموقراطي». وفي حين عمد بايدن، في أكثر من محطة، إلى الإيحاء، بأنّ ماكغورك هو الرجل المناسب لتولي المهام الموكلة إليه، فإنّ منتقدي الأخير يعتبرون أنّه يتمتع «بنفوذ كبير على الرئيس»، ويتهمونه «بتهميش أصحاب الخبرة من أفراد الأمن القومي الآخرين في وزارة الخارجية والبنتاغون».

في المقابل، وإذ يستشهد داعمو ماكغورك بدوره في إنجاح الهدنة بين السعودية وحركة «أنصار الله» في اليمن، كمؤشر إلى «خبرته» وذكائه»، فإنّ عدداً من المراقبين يرون أنّ الهجمات التي تشنها القوات اليمنية المسلحة، أخيراً، مردها فشل سياسة بايدن، ومن خلفه ماكغورك، في التوصل إلى حل سريع للحرب الدائرة في غزة، ما جعل واشنطن تخاطر بتوسيع رقعة الصراع، فيما من غير المرجح أن «تضع حداً» للهجمات اليمنية في البحر الأحمر.

(الأخبار)

أميركا أمام لحظة الحقيقة: الحلّ برحيل «بيبي»؟

نتنياهو يتحكّم بمسار الحرب ومداها ومواقيتها، وهو ما يهدّد بتوسعة رقعتها (أ ف ب)

بعد انقطاع دام 26 يوماً، أجرى، أمس، الرئيس الأميركي، جو بايدن، اتصالاً هاتفياً برئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، بحث معه في خلاله «الجهود الجارية بشأن الرهائن وتحول العملية العسكرية في قطاع غزة (إلى المرحلة الثالثة)». وقال المتحدث باسم مجلس الأمن القومي الأميركي، جون كيربي، إن واشنطن «لا تزال تعارض وقفاً عاماً لإطلاق النار»، على اعتبار أنه «يفيد حماس»، على حدّ قوله، مشيراً، في الوقت نفسه، إلى أن بايدن أكد لنتنياهو «قناعته القوية بإمكانية تطبيق حل الدولتين». وأضاف كيربي: «لا نزال نجري محادثات حول تطبيع العلاقات مع إسرائيل وتلقينا ردوداً إيجابية بهذا الشأن». وبينما كان الرجلان يتحادثان، وسط خلاف لا يفتأ يتعمّق بينهما أكثر فأكثر، أصدر أعضاء يهود في «الحزب الديمقراطي» في مجلس النواب الأميركي، بياناً، أكّدوا فيه «(أننا) نختلف مع تصريحات نتنياهو، وحلّ الدولتين هو مسار الحلّ قدماً». وليس بيان هؤلاء، سوى واحدة من أدوات الضغط الأميركي على الحكومة الإسرائيلية، ورئيسها «المعاند». وهو مسار يتوقّع أن يتصاعد خلال المرحلة المقبلة، إذا ما استمرّ نتنياهو في مواقفه الرافضة للعروض والنصائح الأميركية، والذي يُعزى إلى اعتماده على حلفائه اليمينيين المتطرفين في «الكنيست».

كذلك، بات الأميركيون أميَل الى الاقتناع بأن وجود بني غانتس وغادي إيزنكوت في «كابينت الحرب» لم يعد مؤثّراً فعلياً، ما يعني أن نتنياهو يتحكّم بمسار الحرب ومداها ومواقيتها، وهو ما يهدّد بتوسعة رقعتها، وخصوصاً نحو الجبهة الشمالية مع لبنان، والتي تبدي واشنطن حرصاً شديداً على ضبط التصعيد فيها، لما لهذا السيناريو من أضرار كبرى على استقرار المنطقة والمصالح الأميركية فيها. في المقابل، يدرك نتنياهو التوجّه الأميركي لتشديد الضغوط عليه، خصوصاً من خلال «كابينت الحرب»، سواء من داخله عبر غانتس وإيزنكوت، أو من خارجه عبر الإطاحة به. ولذا، فهو بدأ بناء فريق إدارة جديد، بعيداً عن «الكابينت»؛ إذ أعاد، الليلة الماضية، تفعيل «مجلس الأمن القومي» الذي يضمّ مندوبين عن الجيش والأجهزة الأمنية الرئيسية الثلاثة: «الموساد» و«الشاباك» والاستخبارات العسكرية «أمان». ويراهن نتنياهو على أن تضمن هذه الإدارة، التي تجمّع فعلياً

> **بعد انقطاع دام لـ26 يوماً، أجرى بايدن اتصالاً بنتنياهو**

المتضرّرين من الفشل الإسرائيلي في عملية «طوفان الأقصى»، وفي الحرب بعدها، دعم توجّهه نحو استمرار القتال وتعميقه، خصوصاً في حال انهيار «كابينت الحرب».

من جهة أخرى، وبحسب تقرير نشرته صحيفة «الفايننشال تايمز» البريطانية، فإن دولاً عربية عدّة تعمل على مبادرة للتوصّل إلى وقف لإطلاق النار في قطاع غزة، وإطلاق سراح الأسرى الإسرائيليين، كجزء من خطّة أوسع تتضمّن تطبيعاً للعلاقات بين السعودية وإسرائيل، إذا ما وافقت الأخيرة على خطوات «لا يمكن الانقلاب عليها» نحو إقامة دولة فلسطينية مستقلّة. ونقلت الصحيفة عن مسؤول عربي قوله إن «الدول العربية تأمل في تقديم الخطة خلال أسابيع قليلة في مسعى لإنهاء الحرب، ومنع توسّع النزاع في الشرق الأوسط». وبحسب التقرير، ناقش مسؤولون عرب مع الولايات المتحدة ودول أوروبية، المقترح الذي يتضمّن «نوعاً من الاعتراف بدولة فلسطينية، أو دعماً كاملاً لعضوية فلسطين في الأمم المتحدة». كما نقلت الصحيفة عن أحد المسؤولين، قوله إن «القضية الرئيسية تتمثّل في أن هناك حاجة إلى إعطاء الفلسطينيين أملاً (...) لا يُمكن أن يقتصر الأمر على فوائد اقتصادية أو إزالة بعض رموز الاحتلال»، مضيفاً أنه «بالنظر إلى الجسم السياسي الموجود حالياً في إسرائيل، فلا شيء غير التطبيع يُنزل الإسرائيليين عن الشجرة».

ويبدو أن واشنطن والرياض تناقشان الجزء الفلسطيني من الصفقة، والذي يُتوقّع أن يشمل تجميداً لبناء المستوطنات في الضفة الغربية، وزيادة المساعدات للسلطة الفلسطينية، وخارطة طريق لإقامة دولة فلسطينية، بحسب الصحيفة. ويفترض التقرير أن السعودية «تفهم أن ثمّة ضرورة لانتزاع تنازلات مهمة من إسرائيل»، وأنه يُتوقّع من الحكومة الإسرائيلية أن «تأخذ خطوات ملموسة أكثر نحو إقامة دولة فلسطينية». وفي سياق متصل، قال وزير الخارجية السعودي، فيصل بن فرحان، لـ«msnbc»، إن «المنطقة بالفعل في حالة اضطراب ونواجه كارثة إنسانية في غزة»، مشيراً إلى «(أننا) لا نحتاج إلى توسيع ذلك». وأضاف أن «رسالتنا للجميع، بما في ذلك إيران، هي أننا بحاجة إلى العمل معاً من أجل وقف التصعيد».

(الأخبار)

طوفان الأقصى

عودة القتال إلى الشمال: المقاومة «تجوّد» أداءها

غزة - **يوسف فارس**

يعود الزخم تدريجياً إلى العملية البرية في مناطق شمال قطاع غزة، حيث تقدّمت الدبابات الإسرائيلية، أمس، من عدة محاور في وقت متزامن. فإلى جانب التقدّم من المناطق الشرقية لمدينة جباليا، من شارع الرمل وصولاً إلى مسجد الصديق، توغّلت أيضاً من شمال منطقة بيت حانون. وفي مدينة غزة، دخلت الدبابات إلى المنطقة الجنوبية الغربية لمستشفى الشفاء، ووصلت، وفق شهادات ميدانية، إلى دوّار أبو مازن، واسقطت مناطق الكتيبة وجامعة الأزهر بالنار. وفي جنوب المدينة، وصلت الدبابات إلى الأطراف الشرقية لحي الزيتون.

وفي مقابل ذلك، صعّدت المقاومة من حضورها الميداني في مختلف محاور القتال، وبدا واضحاً أن فترة الانكفاء الميداني من قبل جيش العدو خلال الأسابيع الماضية، انعكست تجويداً لأداء المقاومة، حتى في المناطق الطرفية للأحياء التي تقدّمت إليها قوات الاحتلال. ففي حي التفاح شرق مدينة غزة، استدرج مقاومو «كتائب القسام» قوة خاصة من جنود العدو إلى داخل فوهة نفق، وفجّروا عدداً من العبوات الناسفة بها، ما تسبّب بوقوعها بين قتيل وجريح. وفي محور القتال في حي الزيتون، أعلنت «القسام» أن جنودها تمكّنوا من استهداف قوة خاصة تحصّنت داخل مبنى بقذيفة «تي بي جي» مضادة للتحصينات، وأوقعوها بين قتيل وجريح. كذلك، واصل المقاومون اقترابهم من موقع العملية، واستهدفوا دبابة جاءت لإخلاء الجرحى من المكان، بقذيفة «الياسين 105». وفي محور الشيخ عجلين جنوب مستشفى الشفاء، أعلن «الإعلام العسكري» تمكّن المقاومين من قنص جندي. أيضاً، لم تهدأ الاشتباكات في محور حي الشيخ رضوان، في القاطع الغربي لشمال المدينة، حيث أكّدت «القسام» تمكّن مقاوميها من خوض اشتباكات من مسافة قريبة مع مجموعة من الجنود الذين تحصّنوا داخل أحد المنازل، أما في محور التقدّم شرق جباليا، فقد شهد نهار أمس، زخماً ميدانياً كبيراً، حيث قالت «القسام» إنها استهدفت قوات العدو المتوغّلة بقذائف الهاون، كما استهدفت قوة إسرائيلية راجلة بعبوة «شواظ»، فيما اشتبكت مجموعات أخرى مع قوة ثانية، ما أسفر عن إصابات مباشرة في القوتين. وفي المحور نفسه، تمكّنت «سرايا القدس» من استهداف دبابة إسرائيلية بقذيفة «تاندوم» مضادة للدروع.

> المقاومة وجيش الاحتلال يعيدان تكرار ديناميات الأيام الأولى من الحرب البرية

الزخم الميداني للمقاومة في المنطقتين الجنوبية والوسطى من القطاع، لم يتراجع هو الآخر، على رغم كثافة الأحزمة النارية واعتماد سياسة تدمير المربعات السكنية بالديناميت. هنالك، أعلنت «القسام» تدمير دبابة «ميركافا» كان يقف بجانبها جنديان، بقذيفة «الياسين 105»، ما تسبّب بمقتلهما على الفور. كما أكّدت تدمير ثلاث دبابات بقذائف «الياسين 105» وعبوات «شواظ» في المحور نفسه. كذلك، شهدت مخيمات المنطقة الوسطى نشاطاً ميدانياً لافتاً للمقاومة، وتحديداً لقوات المدفعية، حيث أعلنت كل من «كتائب القسام» و«سرايا القدس» استهداف الآليات الإسرائيلية وتحشّدات الجنود بالعشرات من قذائف الهاون، فيما استهدف مقاومو «القسام» دبابة بقذيفة «الياسين 105». بدورها، وزّعت «سرايا القدس» مقطعاً مصوّراً ظهر فيه مقاوموها وهم يقصفون تحشّدات الجنود بصواريخ «107» قصيرة المدى، بالإضافة إلى صاروخ «بدر 1» الثقيل، المحلي الصنع. وحتى اللحظة، لا تشير وقائع الميدان إلى أن أياً من محاور القتال في شمال القطاع وجنوبه، في طريقه إلى الهدوء، إذ إن كلاً من المقاومة وجيش الاحتلال، بعيدان تكرار ديناميات الأيام الأولى من الحرب البرية، في زخم أخذ في التصاعد يوماً بعد آخر، بعد أسبوعين من الهدوء النسبي في المناطق الشمالية من القطاع تحديداً.

العين على رفح

تكرّر الحديث في وسائل الإعلام العبرية، خلال الأيام الماضية، عن محور فيلادلفيا، وهو شريط حدودي يفصل بين قطاع غزة وأراضي شبه جزيرة سيناء المصرية، يتجاوز طوله 15 كيلومتراً بقليل، وتلتقي في المنطقة الشرقية منه، حدود القطاع بمصر بأراضي المحتلة عام 1948. ويرى القادة العسكريون الإسرائيليون أنه لا توجد أي قيمة للجهد العسكري الذي بُذل خلال الحرب، من دون إعادة تهيئة هذا المحور، لجهة إقامة جدار تحت أرضي، شبيه بالذي أقيم على طول الحدود الشرقية للقطاع. على أن المعضلة التي تعترض تحقيق هذا الهدف، هي حاجته إلى وقت طويل؛ ففيما استغرق بناء 40 كيلومتراً من الحدود الشرقية مع القطاع خمس سنوات، يُقدّر مصدر في المقاومة بأن إنجاز هكذا مشروع، بحاجة إلى عامين على الأقل. كما يتطلّب ذلك تحويل مدينة رفح التي نزح إليها نحو مليون فلسطيني، إلى مسرح كبير لعملية عسكرية شاملة، تضمن تأمين الوحدات الهندسية. وفيما بدأ العدو بشن غارات على المناطق الشرقية من المدينة، سيحدّد المسار السياسي الذي يخوض العدو مع أطراف إقليمية برعاية أميركية، مستقبل الحرب برمّتها، في حين أن اللجوء إلى بناء الجدار، من الجانب الفلسطيني، يعني أن أمد الحرب سيطول لأعوام.

دبابات الاحتلال تعود إلى التوغّل في شمال غزة (أ ف ب)

نزوح متجدّد في غزّة: لا أمان للعائدين

غزة ـ **يوسف فارس**

في ساعة متأخرة من مساء الأربعاء الماضي، شنّت طائرات «الكواد كابتر» هجوماً بالرصاص الحيّ على آلاف النازحين الذين اتّخذوا من مقرّ مبنى صناعة «وكالة الغوث»، ملجأً لهم. على إثر ذلك، استشهد فتى لم يتجاوز الخمسة عشر ربيعاً، فيما لم يجد الآلاف من الأهالي مفرّاً من ترك المبنى الذي يقع غربيّ مدينة غزة. حملت العائلات ما استطاعت من أغطية ومواد تموينية وخرجت في ظلام الليل الحالك، قاصدة وجهة لم تتحدّد بعد. أمّ محمد مهدي، وهي واحدة من هؤلاء، تقول في حديثها إلى «الأخبار»: «فش حدا فاهم شو صار. كنّا بأمان الله، صارت الطيارة تطلق النار عشوائياً على ساحة المبنى. طلعنا وما عرفنا وين نروح. بتنا ليلة كاملة في الشارع».

في ساعة متأخرة من مساء الأربعاء الماضي، شنّت طائرات «الكواد كابتر» هجوماً بالرصاص الحيّ على آلاف النازحين الذين اتّخذوا من مقرّ مبنى صناعة «وكالة الغوث»، ملجأً لهم. على إثر ذلك، استشهد فتى لم يتجاوز الخمسة عشر ربيعاً، فيما لم يجد الآلاف من الأهالي مفرّاً من ترك المبنى الذي يقع غربيّ مدينة غزة. حملت العائلات ما استطاعت من أغطية ومواد تموينية وخرجت في ظلام الليل الحالك، قاصدة وجهة لم تتحدّد بعد. أمّ محمد مهدي، وهي واحدة من هؤلاء، تقول في حديثها إلى «الأخبار»: «فش حدا فاهم شو صار. كنّا بأمان الله، صارت الطيارة تطلق النار عشوائياً على ساحة المبنى. طلعنا وما عرفنا وين نروح. بتنا ليلة كاملة في الشارع».

أبو أحمد المطوق بعودة القصف المدفعي، بالتوازي التي كان قد خبرها خلال أيام التوغل البري. يقول المطوق لـ«الأخبار»: «عزمنا أمرنا على البقاء حتى لو قصف المنزل على رؤوسنا. لم يعد في وسع أحد منا أن يعيد تجربة الذل. المنزل أو الموت، هذا قرارنا الذي لا رجعة فيه».

في مدارس الإيواء التي ازدحمت بآلاف النازحين مجدداً، تتضاعف أزمات الحصول على المياه والطعام، وتخلو الأسواق من كل أنواع المؤن، فيما يغيب أيّ دور حكومي أو أهلي أو خيري ينظّم الواقع المتردي. هنالك، يحمل الناس في قلوبهم كثيراً من الغضب تجاه الدول العربية والإسلامية التي تركتهم وحدهم، لكنهم أيضاً يعتبون على القيادات المحلية والأجهزة الحكومية التي لم تستطع بعد أكثر من 100 يوم من الحرب، تشكيل إطار ينظّم حياة الأهالي ويؤمن احتياجاتهم، في ظل الفوضى التي تزيد من المعاناة. يقول أحمد أبو حسين: «غرقت الأسواق بالأرز في يوم. وفي اليوم التالي، سُحب الأرز من الأسواق دفعة واحدة، ثم أعيد طرحه بفارق سبعة شواكل للكيلو الواحد. هناك من يتاجر بمعاناة الناس وجوعهم، ولا رقيب يوقفه عند حدّه».

> تتضاعف أزمات الحصول على المياه والطعام في مدارس الإيواء

بنك بيبلوس ش.م.ل

رأس المال المدفوع ٦٨٩,١١٣,١٩٨,٤٠٠ ل.ل. الأموال الخاصة ١٠,٣٨٥,٦٨٢,٧٧٣,٠٠٠ ل.ل.

الأشرفية، جادة الياس سركيس، تلفون: ٣٣٥٢٠٠ (٠١)، فاكس: ٣٣٩٤٣٦ (٠١)،
ص.ب. ٥٦٥ – ١١ بيروت – لبنان

البيانات المالية المجمّعة
كما في ٣٠ أيلول ٢٠٢٣

بيان المركز المالي المجمّع
كما في ٣٠ أيلول ٢٠٢٣

الموجودات (القيم بملايين الليرات اللبنانية)	٣٠ أيلول ٢٠٢٣ (غير مدققة)	٣١ كانون الأول ٢٠٢٢ (مدققة)
الموجودات		
الصندوق ومؤسسات الإصدار	١٣٧,١٣٢,٤٦١	١٤,٧٤٢,٨٩٠
المصارف والمؤسسات المالية	١٠,٣١٩,٤٣٨	١,٢٥١,٢٦٦
قروض للمصارف والمؤسسات المالية وإتفاقيات إعادة بيع	٢,٢١٨,٦٤٧	٣٦١,١١٩
أدوات مالية مشتقة	٨,٩٣٢	٨٠٠
أدوات مالية مصنفة بالقيمة العادلة مقابل حساب الأرباح والخسائر	١,٦٣٥,١٨٤	١٣٥,٨٣٢
صافي التسليفات والقروض للزبائن بالكلفة المطفأة	٩,٢٠٩,٥٧٦	٢,٠٧٣,٥٦٣
صافي التسليفات والقروض للجهات المقربة بالكلفة المطفأة	٤٣,٤٤٦	٥,٥٢٣
المدينون بموجب قبولات	٢٧٨,٥٨٠	٢٥,٧٥٣
أدوات مالية مصنفة بالكلفة المطفأة	٦,٨٨٧,٩٢٠	٣,٦٦٩,٣١٠
أدوات مالية مصنفة بالقيمة العادلة مقابل عناصر الدخل الشامل الأخرى	١,٧٢٨,٥٧٣	١٦٦,٤٩١
أصول ثابتة مادية	٤,٦٦١,٠٩	٤,١٧٣,١٩١
أصول ثابتة غير مادية	١٣,٩٧٩	١١,٨٨١
أصول مأخوذة استيفاء لديون	٦٨,١٦٧	٥٩,٧٤٨
موجودات أخرى	١,١٨٢,٤١٥	٦٥,٩٤٨
مجموع الموجودات	١٧٥,٤٣٨,٤٢٧	٢٦,٨٤٤,٢٥٥

المطلوبات وحقوق المساهمين (القيم بملايين الليرات اللبنانية)	٣٠ أيلول ٢٠٢٣ (غير مدققة)	٣١ كانون الأول ٢٠٢٢ (مدققة)
المطلوبات		
مؤسسات الإصدار	٧٩٤,٥٨١	١,٠٤٣,٥٢٠
المصارف والمؤسسات المالية	٧,٥٦١,٨٣٣	١,٣٧٦,٦٨٨
أدوات مالية مشتقة	٦,١٠٩	١,٢٥٠
الودائع وحسابات الزبائن الدائنة بالكلفة المطفأة	١٥١,٦١٤,٠٨٤	١٨,٦٧٧,٠٦٣
ودائع وحسابات الجهات المقربة بالكلفة المطفأة	٩٩٢,٦٩٣	١١١,٨٣٨
تعهدات بموجب قبولات	٢٧٨,٨٧٣	٢٦,٠٣٧
مطلوبات أخرى	١,٤٠٦,٧٠٧	٢٦٦,٢٥٦
مؤونات لمواجهة الأخطار والأعباء	٢,٣٩٧,٨٦٧	٦٤,٩١١
ديون مرؤوسة وما يماثلها	١,٥١٥,٨٨٠	١٥٥,٨٥٦
مجموع المطلوبات	١٦٦,٥٦٨,٦٢٥	٢٢,١٨٤,٤١٩

حقوق مساهمي المؤسسة الأم (القيم بملايين الليرات اللبنانية)	٣٠ أيلول ٢٠٢٣ (غير مدققة)	٣١ كانون الأول ٢٠٢٢ (مدققة)
الرأسمال - أسهم عادية	٦٨٤,٢٧٣	٦٨٤,٢٧٣
المقدمات النقدية المخصصة لرأس المال	٤٠٧,٠٢٥	٤٠٧,٠٢٥
الرأسمال - أسهم تفضيلية	٤,٨٤٠	٤,٨٤٠
علاوات إصدار الأسهم العادية	٢٢٩,٠١٤	٢٢٩,٠١٤
علاوات إصدار الأسهم التفضيلية	٥٩١,٠٨٣	٥٩١,٠٨٣
إحتياطيات غير قابلة للتوزيع (قانونية والزامية)	١,٨١٩,٣٣٤	١,٠٠٧,٧٤٩
إحتياطيات حرة قابلة للتوزيع	١٠٢,٨٣٣	٩٠,٦٦١
الأدوات الرأسمالية المعاد شراؤها	(٨,٥٠٤)	(٨,٥٠٤)
خسائر مدورة	(١,٧٥٠,٨٢٣)	(٤٣١,٠٩٩)
فائض إعادة تقييم العقارات	٣,٦٧٩,٤٨٠	٣,٦٧٩,٤٨٨
التغيير في القيمة العادلة للموجودات المالية المصنفة بالقيمة العادلة		
مقابل عناصر الدخل الشامل الأخرى	٥١١,٤٨٥	(١٤,٨٨٨)
نتائج الدورة المالية	١٨,٤٦٧	(١,٥٤١,٧٤٧)
إحتياطي تحويل العملات الأجنبية	٢,٥١٤,٥٤٩	(٥١,٣٦)
	٨,٨٥٣,٠٣١	٤,٦٤٦,١١٥
حصّة حقوق الأقلية	١٦,٧٦٦	١٣,٨٢١
مجموع حقوق المساهمين	٨,٨٦٩,٨٠٢	٤,٦٥٩,٨٣٦
مجموع المطلوبات وحقوق المساهمين	١٧٥,٤٣٨,٤٢٧	٢٦,٨٤٤,٢٥٥

بيان المركز المالي المجمّع
كما في ٣٠ أيلول ٢٠٢٣ (القيم بملايين الليرات اللبنانية)

٣٠ أيلول ٢٠٢٣ (غير مدققة)	مصارف	زبائن	المجموع
فكالات ومطلوبات محتملة			
كفالات مالية	–	١٣٩,٤٤٠	١٣٩,٤٤٠
كفالات أخرى	٢٨٥,٦٥٧	٢,٩٥٦,٦٤٣	٣,٢٤٢,٣٠٠
	٢٨٥,٦٥٧	٣,٠٩٦,٠٨٣	٣,٣٨١,٧٤٠
إرتباطات			
إعتمادات مستندية	١٥٨,٦٤	١,٤٧٦,٣٩٠	١,٦٣٤,٩٩٤
تعهدات تسليف للزبائن	–	٢,٩٩٧,٩٨٣	٢,٩٩٧,٩٨٣
	١٥٨,٦٤	٤,٤٧٤,٣٧٣	٤,٦٣٢,٩٧٧

٣١ كانون الأول ٢٠٢٢ (مدققة)	مصارف	زبائن	المجموع
فكالات ومطلوبات محتملة			
كفالات مالية	–	١٣,٧٥٠	١٣,٧٥٠
كفالات أخرى	١١,٦٤	٣٦٩,٠٣	٣٧٢,٥٠٧
	١١,٦٠٤	٣٧٤,٦٥٣	٣٨٦,٢٥٧
إرتباطات			
إعتمادات مستندية	٢٠,٧٣١	٨٧,٧٥٠	١٠٨,٤٨١
تعهدات تسليف للزبائن	–	٤١٥,٦١٠	٤١٥,٦١٠
	٢٠,٧٣١	٥٠٣,٣٦٠	٥٢٤,٠٩١

بيان الدخل المجمّع
للفترة المنتهية في ٣٠ أيلول ٢٠٢٣ (القيم بملايين الليرات اللبنانية)

	٣٠ أيلول ٢٠٢٣ (غير مدققة)	٣٠ أيلول ٢٠٢٢ (غير مدققة)
الفوائد والإيرادات المشابهة	٣,٤٤٩,٤٣٣	١,١٢٦,٤٥٠
تنزيل: الضريبة على الفوائد	(١١,٦٠١)	(٩٦,٣٠٩)
الفوائد والإيرادات المشابهة (بعد تنزيل الضريبة على الفوائد)	٣,٢٨٨,٨٣٢	١,٠٣٠,١٤١
الفوائد والأعباء المشابهة	(٥١٤,٩٧١)	(٢٤٧,٠٤)
صافي الإيرادات من الفوائد	**٢,٧٧٣,٨٥٢**	**٧٨٢,٤٣٧**
الإيرادات من العمولات	٧٨٤,٠٤٢	١٠٥,٠٣٠
الأعباء من العمولات	(١٨٤,٣٨١)	(٤٧٨,٠٥٦)
صافي الإيرادات من العمولات	**٥٩٩,٦٦١**	**(٣٧٢,٠٥٦)**
صافي أرباح (خسائر) الأدوات المالية المصنفة بالقيمة العادلة مقابل حساب الأرباح والخسائر	٣,٢٤٠,٩٨٨	(٢٩٤,٦٨١)
منها: صافي إيرادات الفوائد	٤٣	٧٤
صافي أرباح الأدوات المالية المصنفة بالقيمة العادلة مقابل عناصر الدخل الشامل الأخرى	٣٦,٢٨٠	٣,٢٢٢
إيرادات تشغيلية أخرى	١٤٥,٠١١	١٤,٤٧٨
مجموع الإيرادات التشغيلية	**٦,٧٩٥,٨٨٢**	**١٣٢,٩٣٠**
صافي خسائر الائتمان	(٤,٤٠٥,٢٥٦)	٨٥,٥٦٤
صافي الإيرادات التشغيلية	**٢,٣٩٠,٦٢٦**	**٢١٨,٤٩٤**
أعباء المستخدمين	(٧٣١,٧٥٢)	(١٤١,٠٩٧)
مخصصات استهلاكات وإطفاء ومؤونات الأصول الثابتة المادية وغير المادية	(١١٧,٦٨)	(١٧,٨٥٧)
أعباء تشغيلية أخرى	(٨٢٩,١٤٧)	(٢١٣,٨١٧)
مجموع الأعباء التشغيلية	**(١,٦٧٨,٠٧)**	**(٣٧٢,٧٧١)**
الأرباح التشغيلية	**٧١٢,١١٩**	**(١٥٤,٢٧٧)**
مؤونات لمواجهة الأخطار والأعباء	(٤٠٥,١١١)	(٥٥,٩٨٤)
أرباح ناتجة عن استبعاد أصول ثابتة مادية	(١,٨١٧)	٣١٤
النتائج قبل الضريبة من الأنشطة التشغيلية	**٣٠٤,٦٩**	**(٢٠٩,٩٤٧)**
الضريبة على الأرباح	(٣٩٤,٥٢٢)	(٢١,٦٥٥)
النتائج الصافية من الأنشطة التشغيلية (خسارة)	**(٨٩,٨٣١)**	**(٢٣١,٦٠٢)**
النتائج الصافية (خسارة)	**(٨٩,٨٣١)**	**(٢٣١,٦٠٢)**
خسارة الفترة العائدة إلى:		
– مساهمي المؤسسة الأم	١٨,٤٦٧	(٢٣٣,٥٠٢)
– حقوق الأقلية	١,٩٠٠	(١٠٨,٢٩٨)
	(٨٩,٨٣١)	(٢٣١,٦٠٢)

بيان الدخل الشامل المجمّع
للفترة المنتهية في ٣٠ أيلول ٢٠٢٣ (القيم بملايين الليرات اللبنانية)

	٣٠ أيلول ٢٠٢٣ (غير مدققة)	٣٠ أيلول ٢٠٢٢ (غير مدققة)
خسارة الفترة	**(٨٩,٨٣١)**	**(٢٣١,٦٠٢)**
عناصر الدخل الشامل الأخرى القابلة للتحويل إلى بيان الدخل في فترات لاحقة:		
صافي خسائر غير محققة على أدوات الدين المصنفة بالقيمة العادلة		
مقابل عناصر الدخل الشامل الأخرى	**٥,٤٠٢**	**(١,٨٤٠)**
تأثير ضريبة الدخل على عناصر الدخل الشامل الأخرى	(٩٧٢)	٥٤
	٤,٤٣٠	**(١,٧٨٦)**
فروقات تحويل العملات الأجنبية	٢,٦٢١,٥٥١	٨,٦٧٦
صافي عناصر الدخل الشامل الأخرى القابلة للتحويل إلى بيان الدخل في فترات لاحقة	**٢,٦٢٥,٩٨٦**	**٦,٨٩٠**
عناصر الدخل الشامل الأخرى غيرالقابلة للتحويل إلى بيان الدخل في فترات لاحقة:		
صافي أرباح غير محققة على أسهم وحصص مصنفة بالقيمة العادلة مقابل عناصر الدخل الشامل الأخرى	٤٥,١١٨	٢,٢٠٨
تأثير ضريبة الدخل على عناصر الدخل الشامل الأخرى	(٥٢٨)	(٣٧٥)
صافي عناصر الدخل الشامل الأخرى غيرالقابلة للتحويل إلى بيان الدخل في فترات لاحقة	٤٤,٥٩٠	١,٨٣٣
مجموع عناصر الدخل الشامل للفترة بعد الضريبة	٢,٦٧٠,٥٧١	٨,٧٢٣
إجمالي الدخل الشامل للفترة بعد الضريبة	٢,٥٨٠,٧٤٠	(٢٢٢,٨٧٩)
خسارة الفترة العائدة إلى:		
– مساهمي المؤسسة الأم	٢,٦٣٩,٩٦٧	(٢٢٢,٨٥٥)
– حقوق الأقلية	(٥٩,٢٢٧)	(٢٤)
	٢,٥٨٠,٧٤٠	(٢٢٢,٨٧٩)

طوفان الأقصى

من «الأحمر» إلى «العربي» وخليج عدن: قدرات اليمن محفوظة

صنعاء ـ **رشيد الحداد**

بعد دخولها في مواجهة مباشرة مع القوات الأميركية في البحر الأحمر، نقلت قوات صنعاء، أخيراً، عملياتها العسكرية إلى خليج عدن والبحر العربي، وهي مناطق واقعة خارج سيطرة حركة «أنصار الله». وعملت القوات اليمنية على استهداف السفن الأميركية في تبنك المنطقتين، على رغم أن البعض منها كانت ترافقها

> **القوات الأميركية تسيّر طائرات تجسّسية بشكل مكثّف بالقرب من السواحل اليمنية في الحديدة**

سفن حماية عسكرية أميركية وبريطانية، ما يشير إلى فشل هذه السفن في توفير الحماية لها. وتزامن ذلك مع تجديد القوات الأميركية اعتداءاتها، بتنفيذها غارات إضافية استهدفت منطقة الجبانة في مدينة الحديدة.

ويقول مصدر عسكري في صنعاء، لـ«الأخبار»، إن القوات اليمنية باستهدافها سفناً أميركية خارج نطاق سيطرتها، وعلى بعد 600 كيلومتر من صنعاء، ترد على مزاعم البحرية الأميركية حول تدمير قدراتها العسكرية، مشيراً إلى أن «هذه القوات تمتلك عنصر المفاجأة للعدو، وتستطيع استهداف أي هدف معادٍ لها في البحرين الأحمر والعربي وخليج عدن»، لافتاً إلى أن صنعاء لَمحت، الأسبوع الماضي، عبر تصريحات لنائب وزير خارجيتها، حسين العزي، إلى إمكانية توسيع ساحة المعركة مع الأميركي والبريطاني إلى المحيط الهندي والبحر المتوسط.

ويربك هذا التوسيع التواجد العسكري الأميركي في البحر الأحمر، الذي يعيش حالة توتر عسكري غير مسبوق، حيث تحاول البحرية الأميركية منذ أيام إفشال الهجمات ضدها. وتقول مصادر بحرية مطّلعة، لـ«الأخبار»، إن البحرية الأميركية كثّفت الطلعات الجوية، خلال الأيام الماضية، بأسلوب استعراضي، محاولةً بذلك استعادة مكانتها وهيبتها اللتين انكسرتا بعد تعرّضها لضربات متعددة من قبل قوات صنعاء، الأسبوع الماضي. ورغم استهداف منطقة الجبانة في مدينة الحديدة بغارات جديدة مساء أمس، وقبلها مناطق متعدّدة، وضرب منصات

تحاول البحرية الأميركية منذ أيام إفشال الهجمات ضدها (أ ف ب)

لإطلاق الصواريخ كانت تستعد لتنفيذ هجمات ضد سفن تجارية، أظهرت القوات اليمنية احتفاظها بقدراتها، بتنفيذها هجمات متعدّدة على سفن أميركية وأخرى حاولت مساندتها في خليج عدن والبحر العربي. وفي هذا الشأن، أكّد المتحدث باسم تلك القوات، العميد يحيى سريع، في بيان فجر أمس، استهداف السفينة الأميركية «كيم رينجر» في خليج عدن بصواريخ بحرية مناسبة. وكانت «هيئة التجارة البحرية البريطانية» أكّدت تلقّيها تقريراً بوقوع حادث استهداف لسفينة على بعد 85 ميلاً بحرياً عن مدينة المكلا في حضرموت شرقي اليمن، في وقت متأخر من مساء أول من أمس.

ووصف مراقبون العملية اليمنية الأخيرة بالجبانة للسفن، ولا سيما أن القوات الأميركية عزّزت تلك الحماية بعد استهداف قوات صنعاء السفينة الأميركية «جينكو بيكاردي» التي كانت تحمل شحنة بتروكيماويات، يوم الأربعاء. وفي السياق ذاته، وردت أنباء عن استهداف سفينة ثانية مساء أول من أمس، غير أن هذه الأخيرة جرى استهدافها في خليج عدن. وبحسب «هيئة عمليات التجارة البحرية البريطانية»، فإن حادثاً وقع على بعد 115 ميلاً بحرياً جنوب شرق عدن جنوب اليمن، بعد الإعلان عن استهداف الناقلة الأولى بساعة واحدة، لكن سريع لم يتطرّق إلى هذا الاستهداف الثاني.

من جهته، أكّد المتحدث الرسمي باسم حركة «أنصار الله»، محمد عبد السلام، في حديث إلى وكالة «رويترز»، أن قرار منع مرور السفن المتجهة نحو الموانئ الفلسطينية المحتلة يأتي وفق القانون اليمني، وهو حقّ طبيعي لليمن أمام مياهه الإقليمية والدولية، مشيراً إلى أن العمليات العسكرية اليمنية لم تُسقط قطرة دم واحدة حتى الآن، مجدّداً حرص الحركة على سلامة الحركة الملاحية المنتظمة في البحر الأحمر ومضيق باب المندب. واعتبر أن دخول الولايات المتحدة على الخط أضاف «المزيد من التصعيد»، وأن الضربات الأميركية «مبالغ فيها ولا مبرّر لها»، واصفاً الموقف الأميركي بأنه «حراسة لإسرائيل وليس للعالم»، ومشيراً إلى أن الحركة تستفيد من الخبرة الإيرانية في التصنيع العسكري لكن «القرار الذي اتخذه اليمن هو قرار مستقل لا علاقة له بأي طرف آخر».

كذلك، ردّت صنعاء شعبياً على العدوان الأميركي - البريطاني على عدد من المحافظات، من خلال مسيرات شعبية شارك فيها مئات الآلاف من اليمنيين في العاصمة ومختلف المحافظات الواقعة تحت سيطرة حركة «أنصار الله»، تحت شعار «ثابتون مع فلسطين.. وأميركا أمّ الإرهاب». وأتت هذه المسيرات تلبية لدعوة وجّهها قائد الحركة، عبد الملك الحوثي، في خطابه الأخير.

آلية جديدة لـ«المقاصة»: «تل أبيب» تبتزّ رام الله

رام الله ـ **أحمد العبد**

تحت وطأة الضغوط الدولية، وتحديداً الأميركية، اقترح وزير المالية في حكومة الاحتلال، بتسلئيل سموتريتش، آلية جديدة لتحويل أموال المقاصة الفلسطينية، والتي كانت قد بدأت إسرائيل، منذ السابع من أكتوبر، اقتطاع جزء منها يمثّل المبلغ الذي تحوّله السلطة إلى قطاع غزة. ورغم أن مجلس الوزراء الإسرائيلي المصغّر وافق، في تشرين الثاني الماضي، على تحويل جزئي لأموال الضرائب، بعد حسم ملايين الدولارات المخصصة للقطاع كخدمات اجتماعية ورواتب لموظفيه ومتقاعديه، إلا أنّ السلطة الفلسطينية رفضت استلام تلك الأموال، ما أعجزها عن دفع رواتب موظفيها. وأثار هذا العجز مخاوف من احتمال انهيارها، مستتبعاً قلق الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية وحتى بعض المسؤولين الأمنيين في دولة الاحتلال، خشية تأثير ذلك على الوضع الأمني في الضفة.

وقال وزير الحرب، يوآف غالانت، قبل أيام، إن تحويل أموال المقاصة وإعادة العمال الفلسطينيين إلى داخل الخط الأخضر، من شأنهما أن يقويا السلطة الفلسطينية ويحافظا على الاستقرار في الضفة، التي تشير التقديرات الأمنية إلى أنها على حافة الاشتعال. لكن سموتريتش اعتبر أن موقف غالانت «خطأ فادح. السلطة الفلسطينية ليست الحل، إنها جزء من المشكلة». وبحسب مقترح وزير المالية الجديد، فإن إسرائيل ستقوم بإيداع الأموال المخصّصة لغزة (200 مليون شيكل) لدى دولة ثالثة هي النرويج، التي ستحتفظ بها كامانة بضمان الولايات المتحدة عدم تحويلها إلى القطاع، شرط أن تجمّد إسرائيل كلّ أموال السلطة في حال خرق الاتفاق. ويعتقد سموتريتش أن الضغط سيتحوّل، بهذه الطريقة، إلى الرئيس محمود عباس، الذي سيكون في مأزق في حال رفضه استلام أموال المقاصة هذه المرة.

وعُرض المقترح الجديد، مساء أمس، على «الكابينت»، لكن الأخير فشل في اتّخاذ قرار بشأنه، ليتأجل التصويت عليه مرة أخرى، على غرار ما حصل ليل الخميس - الجمعة، حين عارضه وزير «الأمن القومي»، إيتمار بن غفير. وبحسب «القناة الـ13» العبرية، فإن هذه المسألة شكّلت أحد أسباب انقطاع الاتصالات بين رئيس حكومة الاحتلال، بنيامين نتنياهو، والرئيس الأميركي، جو بايدن، في الأسابيع الأخيرة، إذ طلب الثاني من الأول تحويل مستحقات السلطة على النحو المعتاد، ولكن الضغط الذي مارسه سموتريتش دفع نتنياهو إلى رفض ذلك، وهو ما أثار حفيظة بايدن. كما شكّلت مسألة أموال المقاصة أحد عناوين أجندة وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، في جولاته المكوكية في المنطقة منذ السابع من أكتوبر.

وتكشف الآلية الجديدة رغبة سموتريتش في التحكّم في أموال السلطة، وهي جاءت بعد أسابيع من رفضه أخرى اقترحها مستشار الأمن القومي الأميركي، جيك سوليفان، أثناء زيارته للمنطقة، تخوّل السلطة إرسال أموال إلى موظفيها في غزة، بعد تحقّق إسرائيل من هويات المستفيدين. وتجبي إسرائيل أموال الضرائب والجمارك المفروضة على السلع الفلسطينية المستوردة من الخارج، نيابة عن السلطة الفلسطينية، مقابل نسبة 3% مما تجمعه، وفقاً لما جاء في «اتفاقية باريس الاقتصادية» الموقّعة بين السلطة وحكومة الاحتلال عام 1994، والتي تعدّ الملحق الاقتصادي لـ«اتفاقية أوسلو».

> **دائماً ما اقتطعت إسرائيل مبالغ مالية كبيرة من أموال المقاصة بدعاوى مختلفة**

وبموجب ذلك، تتحكّم إسرائيل في الحياة الاقتصادية الفلسطينية، عبر سيطرتها على الموانئ والمعابر، والعمل بما يسمّى «الغلاف الجمركي الموحّد»، من دون اعتبار لمستوى النمو والتطور في الاقتصاد الفلسطيني الناشئ مقارنة بالإسرائيلي.

ودائماً ما اقتطعت إسرائيل مبالغ مالية كبيرة من أموال المقاصة بدعاوى مختلفة، كان آخرها تحويل تعويضات إلى الإسرائيليين ممّن وُصفوا بـ«ضحايا الإرهاب»، والذي تذرّع به سموتريتش، في 14 كانون الثاني الحالي، لحجز 3,1 مليون شيكل (أكثر من 800 ألف دولار). وقال سموتريتش تعليقاً على ذلك: «هناك أشياء لن يتمّ التراجع عنها أبداً»، مضيفاً أن «من يروّجون للإرهاب سيدفعون الثمن». ودأبت دولة الاحتلال، منذ سنوات، على اقتطاع ملايين من الدولارات، هي قيمة رواتب الأسرى وعائلات الشهداء والجرحى، والتي تدفعها السلطة الفلسطينية، محوّلةً تلك الأموال إلى أداة ابتزاز لرام الله، كونها تشكّل المورد المالي الأهمّ والأكبر للأخيرة (تشكّل ما بين 65 و70% من إيراداتها الإجمالية).

وإذ لم تُصدر السلطة الفلسطينية، حتى الآن، أيّ موقف إزاء الآلية الجديدة المقترحة، فمن المتوقّع، بالاستناد إلى مواقفها السابقة، أن تقابلها بالرفض، خاصة إذا لم تنجح الأطراف الدولية، وتحديداً النرويج والولايات المتحدة، في الضغط على إسرائيل للسماح بتقديم أوسلو قرضاً لرام الله مقابل الأموال المحوّلة إليها. وسبق للرئاسة الفلسطينية أن عدّت اقتطاع إسرائيل الأموال المخصّصة لغزة «جريمة حرب»، معلنةً أنها «لن تتخلّى عن شعبها سواء المعتقلين أو الشهداء أو احتياجات غزة كافة، ولن تتوقف يوماً عن تحويل أموال غزة المستحقّة، وستستمر في القيام بواجباتها لأهلنا في غزة في مجالات: الصحة، والتعليم، والمياه، والكهرباء، ورواتب العاملين في الحكومة الفلسطينية».

لم تُصدر السلطة الفلسطينية، حتى الآن، أيّ موقف إزاء الآلية الجديدة المقترحة (أ ف ب)

«الأحلام الكبرى» تعاود أبو ظبي... وصنعاء غير غافلة

أحمد الحسني

لم يعد مفاجئاً الحديث عن تأثر الإمارات، سلباً أو إيجاباً، بكل ما يتصل بإسرائيل، وخصوصاً منذ توقيع الاتفاقات الأمنية والاقتصادية المشتركة بين الجانبين ضمن «معاهدة أبراهام». والظاهر أن تداعيات المواجهة الدائرة في البحر الأحمر، وارتداداتها على مستقبل العملية السياسية في اليمن، ستصب نسبياً في مصلحة الإمارات، التي لم توفر فرصة منذ بدء الخطوات السعودية الجادة لإنهاء الحرب، من أجل إفشال تلك العملية عبر اتجاهين: الأول، الدفع نحو إعادة تصنيف الولايات المتحدة حركة «أنصار الله» كجماعة إرهابية؛ والثاني إخراج السعودية من المشهد السياسي والعسكري عبر السيطرة على كامل الرقعة الجغرافية في الجنوب اليمني.

ويبدو أن الموقف الإماراتي الراهن، هو موقف واشنطن وتل أبيب نفسه، حتى لو لم تعلن أبو ظبي انخراطها في الحلف الأميركي لمواجهة منع صنعاء الملاحة الإسرائيلية في البحر الأحمر. فالإمارات تجتهد ميدانياً لتهيئة الأرضية لهذا الحلف، في حال قرّر خوض حرب شاملة على اليمن، وهو ما ظهرت ملامحه في تصريحات حلفاء أبو ظبي المحليين، سواء طارق صالح، أو عبدروس الزبيدي، وخصوصاً أن الأخير دعا، أثناء مشاركته في مؤتمر «دافوس» في سويسرا أخيراً، إلى ضرورة إعادة تصنيف «أنصار الله» كمنظمة إرهابية، مطالباً بتأسيس حلف دولي جديد لشن حرب على صنعاء، يرتكز على حلفاء محليين جدد. ليس هذا فقط، بل إن الزبيدي طالب، في مقابلة أجرتها مع صحيفة «الغارديان» البريطانية قبل أيام، بـ«دعم القوات البرية وتطوير قدراتها لخوض المواجهة البرية ضمن الحلف الذي تقوده واشنطن ضد صنعاء»، معتبراً أن «وقف إطلاق النار مع صنعاء قد انتهى، واتفاقية السلام جُمّدت».

ويعدّ موقف «المجلس الانتقالي الجنوبي» الذي يقوده الزبيدي، بمثابة صدى لموقف أبو ظبي، التي تسعى إلى إشعال المواجهة مجدّداً في اليمن، وإن عبر وكلائها المحليين. كما تطمح إلى لعب دور محوري عبر إسناد الحلف الأميركي برياً، بالزج بالمليشيات التابعة لها، والممتدة من تخوم الحديدة في سواحل البحر الأحمر حتى المكلا المطلة على البحر العربي، والمتمثلة في ثلاث قوى رئيسة: «المجلس الانتقالي» و«المقاومة الوطنية» و«ألوية العمالقة». ويبدو أن أبو ظبي تسعى إلى سد الفجوة بعد نأي الرياض بنفسها فعلياً عن الانخراط في الحلف الجديد، وتستميت لتسجيل انتصار عبر هذا الأخير، ليس فقط في ما يتعلق بمحاولة تغيير المعادلة في الشمال حيث سيطرة «أنصار الله»، ولكن أيضاً من أجل الحفاظ على ما تحت يدها من نفوذ في المحافظات الجنوبية، فضلاً عن الساحل الغربي في الشمال، على اعتبار أن ذلك يحقّق لها جزءاً من الأهداف التي دفعت بها إبان الحرب على اليمن، والتي لا ترتبط بأبعاد «إنهاء الانقلاب ودعم الشرعية».

> **حشر أبو ظبي المكوّنات التابعة لها في اليمن للدفاع عن الملاحة الإسرائيلية لن يمر بالنسبة إلى صنعاء من دون ثمن**

ظبي المكوّنات التابعة لها في اليمن للدفاع عن الملاحة الإسرائيلية، لن يمر بالنسبة إلى صنعاء من دون ثمن، وخصوصاً مع تهديدات الأخيرة بتوسعة بنك الأهداف ليشمل مناطق في البرّ. والواقع أن مواجهة من هذا النوع، وفقاً لمراقبين، لن تغيّر فقط من المعادلة على الأرض، بل ستكبح أيضاً جموح أبو ظبي في الجزر والموانئ والسواحل اليمنية، وستفسد على الإمارات كل الترتيبات التي بنتها في سنوات الحرب في اليمن.

الصوفف الإماراتي الراهن، هو موقف واشنطن وتل ابيب حتى لو لم تنضم إلى الحلف الجديد (أ ف ب)

القاهرة تدفع بهدنة موقّتة

القاهرة - **الأخبار**

أجرى وفد إسرائيلي رفيع المستوى، خلال الساعات الماضية، لقاءات مع مسؤولين استخباراتيين لبحث تصوّر قدّمته القاهرة، يقترح هدنةً تمتد لنحو أسبوعين، وتجري خلالها عملية تبادل محدود للأسرى. ويأتي ذلك في ظلّ بدء ورود إشارات إلى المسؤولين الإسرائيليين تفيد بتلقّي الأسرى للأدوية، بناءً على الاتفاق الذي توسّطت فيه كلّ من قطر وفرنسا. ويُعتبر اللقاء المذكور، الذي عُقد بشكل افتراضي، من بين أكبر اللقاءات التي نُظّمت خلال الأسابيع الماضية، علماً أنه بحث عدّة موضوعات بشكل تفصيلي حول وضع الأسرى، وسلامتهم، فيما أكّدت مصر أن وقف الحرب، ولو بشكل مؤقّت، يمكن أن يمهّد لوقف دائم لإطلاق النار، خلال الأسابيع المقبلة.

ووفق مصادر مصرية شاركت في اللقاء الذي استمر عدّة ساعات، فإن القاهرة لا تزال تأمل في وجود تفاعل إسرائيلي مع المقترحات التي تقدّمت بها، وهي تعهّدت باستحصال موافقة من المقاومة عليها، في حال قبول الجانب الإسرائيلي بها، ولا سيما في ما يتعلّق منها بالحدّ من انتهاكات الاحتلال في الضفة الغربية، تمهيداً لوقف الأعمال العدائية المختلفة. لكنّ مصدراً آخر حضر الاجتماع، قال، في حديث إلى «الأخبار»، إن الموقف الإسرائيلي «يتّسم بالضبابية والتخبّط وعدم القدرة على حسم أكثر من مسألة جوهرية جرى طرحها، خاصة في ما يتعلّق بالجدول الزمني، ولو المبدئي، الذي يمكن على أساسه اتّخاذ القرارات»، وهو ما تعدّه القاهرة المعرقل الرئيسي للوصول إلى أيّ نتيجة سريعة، علماً أن التنسيق على المستوى الفني شهد، خلال الأيام الماضية، جموداً واضحاً. وأضاف المصدر أن اللقاء بحث مطالب تتعلّق بمزيد من التسهيلات لتفتيش الشاحنات الداخلة إلى القطاع، بالإضافة إلى عملية تأمين المخيم المصري في خانيونس، وإدخال مجموعة من العمالة المصرية لتنفيذ عملية توسعته في أسرع وقت ممكن، فيما جرى التوافق على إرجاء السماح بدخول أيّ وسائل إعلام أجنبية إلى داخل غزة، كما هو متّبع منذ بداية العدوان.

على الجانب الآخر من الاتصالات، فإن مسؤولين أميركيين نقلوا إلى نظرائهم المصريين، أن هناك مهلة حتى نهاية الشهر الجاري لتحديد ما سيحدث على أرض المعركة. وأتى ذلك في أعقاب تصريحات رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، حول استمرار الحرب حتى العام المقبل، والتي أبدت القاهرة انزعاجاً شديداً منها، لكونها تقوّض أيّ تحرّك يمكن أن يؤدي إلى تهدئة الأوضاع، ولو بشكل مؤقّت. ووفق المسؤولين الأميركيين، فإن الوضع الحالي لا يمكن أن يستمرّ لأسباب كثيرة، من بينها رغبة الإدارة في وقف الحرب وعودة الرهائن في أسرع وقت إلى ذويهم، وإبداؤها دعماً لمسار جديد تجري بلورته عبر مسؤولين مصريين، ويتضمّن تعديلات مقترحة على المبادرة التي قُدّمت من قبل.

طوفان الأقصى

شهادات من الميدان
عيون تغمض ولا تنام

باسل خير الدين
قناة «فلسطين اليوم»

ظروف العمل صعبة وسيئة جداً، ويتعرّض لها كل الصحافيين في قطاع غزة. ليس أولها التعب والشقاء، وليس آخرها فقد الأحبة والمنازل. لا نعمل بظروف عادية أو طبيعية، فالاحتلال هذه المرة لا يفرّق بين صحافي أو مدني أو غيرهما. الكل مستهدف. حتى ونحن نردي الدرع الواقي الأزرق الدال على مهنتنا، وبالتالي القوانين والأعراف الدولية تحمي الصحافي أثناء عمله في الميدان، إلّا أنّنا نُستهدف مباشرة، وفي بعض الأحيان يكون الدرع المميز لنا هو سبب الاستهداف أصلاً. فالإسرائيلي يتعمّد استهداف الصحافيين لإيلامهم، وقتل الحقيقة أيضاً.

بعض الصحافيين استُهدفت عائلاتهم بشكل مباشر، ففقدوا أهلاً وأحباباً. أنا واحد من هؤلاء. أخي أحمد يعمل معي كمصوّر، هو رفيق درب ومهنة. في اليوم الذي استُهدف فيه منزلنا، اعتذر عن العمل، فلم يكن قد استراح على مدى أكثر من ثمانين يوماً، فخرجتُ للمهمة وحدي هذه المرة. أحمد هو المصوّر، أكثر من مئتي تقرير عملنا عليها معاً طوال مدة العدوان لجهات عدة، ولكن كانت النهاية. طلب الاستراحة، فكانت استراحة طويلة، قتل الاحتلال في البيت كل من فيه، 21 شهيداً قتلهم الاحتلال، 17 منهم ما زالوا تحت الركام، لم نستطع إخراجهم بسبب نقص المعدات وخطورة العمل في مكان البيت.

استشهاد شقيقي وزميلي أحمد، ليس سهلاً. بيننا البيت والعائلة، وواكبنا معاً العدوان منذ اليوم الأول. معاً غطّينا عشرات المجازر والأحداث، لحظة بلحظة، ساعة بساعة، يوماً بيوم. كنّا نذهب لمتابعة الأحداث وتغطيتها في كل مكان، نصوّر ونجري المقابلات. أحمد كان مميزاً، تحديداً بعينه، فهو من المصورين الماهرين المحبين لمهنتهم. وثّقنا قتل المدنيين، ولعل الأبرز كان تغطية مجزرة الشجاعية، ومجزرة التوابين أيضاً، وأكثر من مجزرة في مخيم الشاطئ. وثّقها أحمد بالصوت والصورة. شكّلنا معاً ثنائياً جيداً في العمل. استطعنا توثيق عدد كبير من المجازر، وبعض ما وثّقناه يُستخدم بثلاثة ملفات أُخذت لمحكمة الجنايات الدولية كشهادات. ووثّقنا ما حل بالأطفال النازحين، وبعض وثائقنا أوصلناها إلى «اليونيسف»، كظروف حياتهم الصعبة.

هذا العمل الذي قمنا به، ويقوم به الصحافيون، أدّى إلى أن نكون كصحافيين أهدافاً للاحتلال. في النهاية، كان أحمد هدفاً إسرائيلياً أراد عبره أن يؤلمنا جميعاً، وأن يوجعنا جميعاً، كصحافيين، وكعائلة أيضاً، لكن، ورغم هذا، المسيرة متواصلة، والتغطية مستمرة.

أحمد، وغيره من الشهداء الصحافيين، سلّموا الراية إلى من كانوا معهم، بطلٌ يسلم الآخر، والشهيد يسلّم الآخر، لتستمر هذه المسيرة وتستمر هذه الطريق الطويلة من النضال الوطني. النضال من أجل إيصال الحقيقة. المقاومة من أجل إيصال الحقيقة إلى كل الناس وإلى كل العالم. حقيقة أن هذا العدو عدو مجرم، عدو يستهدف كل شيء.

(محمد سباعنة)

يوسف فارس
جريدة «الأخبار»

مذ رحلوا، لم تعد معارك العمل التي أعيشها يومياً خليقة بالذكر. وللحق، أضحى الغرق في هذه المهنة حد الإنهاك أفيونَ الهروب الوحيد من سطوة الذكرى والتفكير. لم أشعر في يوم أنني ممتنّ للكاميرا والتقارير التي اقضي ساعاتٍ في كتابتها حرفاً حرفاً عبر الهاتف المحمول، كما أنا اليوم. قُصف البيت الذي سكنته لعام واحد فقط، ولم اسدّد بعد أطنان الديون التي تراكمت عليّ من بنائه، خضت رحلة محفوفة بالموت لتفقّده، وحين وصلته أول مرة، حمدت الله أنه لا يزال قائماً، ثلاثة أعمدة فقط هي ما سقط، على الأقل، بقي سقف يسترنا إن خرجنا من الحرب أحياء. بعدها بأسابيع، جاء الخبر: لقد حرقوه. استعرت سيارة قرب لي بعد أن تعطلت سيارتي، فقُصفت هي الأخرى، صرت أقطع يومياً عشرات الكيلومترات مشياً على الأقدام لأنجز مهماتي. قضيت أسابيع على الرصيف وفي مدرسة للإيواء. أمضيت تسعة أيام لم تدخل لقمة في جوفي كي لا أضطرّ للذهاب إلى الحمام. داهمنا المطر ذات مساء، غرقنا، ولكن مياهه الشمس الشاحبة، أنقذتنا من العطش. أغلق اليوم مع غروب هذه الشمس الشاحبة، اليوم الخامس والسبعين، الذي لم ألتقِ فيه زوجتي وأطفالي الثلاثة، وللحق مجدداً، كل ما ذكرته سلفاً، محض ترف، لا شيء مؤذٍ في كل ذلك.

أستغرقُ ثلاث ساعات وأنا أحاول توصيف العلاقة الملتبدة التي كانت تربطني بابنَاء أختي الثلاثة، خليل ومحمد وحمزة، إنها خليط عجيب من الأبوّة والصداقة التي يعلو فيها طرف على آخر، صداقة تبذل فيها كل الجهد، لتذيب حاجزَ الوقار الذي يعطوك إياه، من دون أن تفلح: «كمان سحسوح يا خال»، هكذا يردّ خليل بعدما اداهمه بكل لسعة. في بلادنا، يقولون إنّ «الخال والد»، وإنّ المرأة تكاد أن تلد أخاها، وربما لم يحسنوا بعد توصيف واقع حالي معهم، لقد رحلوا، ولا شيء يمكن الحديث عنه في هذه الحرب، على الأقل بالنسبة إليّ، سوى وجع الفقد. المواقف الصعبة تمضي، رفقة الموت. العيش لأسابيع تحت القصف ومطر الشظايا، كل شيء يمرّ، يُنسى بمجرد انقضائه. رفيق الحياة الوحيد هو الحزن، ولا أدري أهو الحزن عليهم، أم الحزن على حالنا بعدهم؟ لا أدري إن كنت مصيباً في كتابة ما طُلب مني كتابته، ولكنني لا أجد في مهنة الصحافة أيّ موطن للبطولة. وحين يتحدّث أحد الزملاء عن قدر معاناته التي هي نفسها معاناة أهلنا جميعاً، أشعر به وكأنه «بيحمّل العالم جميلة». أولاً وأخيراً، نحن لسنا «إن جي أوز» ولا «صليب أحمر»، لسنا طرفاً محايداً لكي نأنف هذه المصاعب أو نتكئ عليها بينما يعيشها الجميع.

مذ رحلوا، وأنا أعيش ما قاله غسان كنفاني يوماً ما: «إنّ كل ما نقوله ونكتبه هو اعتذار تافه وسخيف عن عدم حملنا للسلاح».

عبد الناصر أبو عون
قناة «المنار»

منذ بدء التغطية في 7 أكتوبر العام الماضي حتى الآن، تنقّلنا من مكان إلى آخر. في اليومين الأولين من العدوان، كنّا في مقرّنا في الأبراج. استشعرنا حجم الحدث، ولم يكن لدينا تصوّر للسيناريو الذي نحن نعيشه اليوم، ولكننا توقّعنا ردّاً قوياً.

بعد هذين اليومين أخلينا المكتب، نحو مجمع الشفاء الطبي، حيث يجتمع الصحافيون في الحروب. بقينا هناك لأسبوع، وزملاء غيرنا ظلّوا لأكثر من شهر، إلى حين مداهمة مجمع الشفاء.

أنا شخصياً كنت أغطي إذاعياً وتلفزيونياً. كنت مع الفرق نهرع إلى مكان الغارات، كما نغطي وصول الشهداء والجرحى إلى مستشفى الشفاء. شاهدنا عدداً من المجازر منذ 7 أكتوبر.

من أقسى المشاهد التي عايشتها، لحظات انتشال الجثامين أو الأشلاء من تحت الركام. وكذلك استهداف الزملاء، فالصحافي منّا عليه أن يكون في الميدان، ويأخذ إجراءات السلامة، وفي بدايات المواجهة والحرب، استُهدف عدد من الزملاء، وشعرنا منذ اللحظة الأولى أن الصحافيين في دائرة الاستهداف. فالذي يدمّر البيوت على رؤوس ساكنيها، لا توجد عنده محرمات أو كوابح تمنعه من استهداف أي أحد وأي شيء، وهذا ما حدث.

كنت أغيب عن بيتي في حي الشيخ رضوان لأيام، بسبب التغطية أحياناً، وبسبب القصف الشديد أثناء الذهاب والعودة، وكنت أصل الليل بالنهار. ومع مرور الأيام أصبح العمل هو البيت. مع ذلك، هناك عائلتي وتحتاج إلى كثير من الأمور، وأطفالي خائفون ويستنجدون. تملّكني هاجس حماية الأهل، فتوزّع تركيزي بين العمل وبين العائلة وأمانها، لذا اتّخذنا القرار بعدما كان التهديد واضحاً في 13 أكتوبر، أنه يجب إخلاء غزة باتجاه الجنوب.

اتخذت القرار مبكراً، اتجهت نحو النصيرات في الجنوب، ومعي عائلتي. مكثت أسبوعاً، مارست عملي الصحافي من مستشفى «شهداء الأقصى»، غطيت الأحداث، وعشت سيناريو الشمال ذاته، باستهداف الأمنيّين، والأشلاء. ومرة أخرى البيت الذي نزحنا إليه في النصيرات، لم يعد آمناً. وعدت إلى توزيع تركيزي بين عملي وبيتي، فكان هذا تحدٍّ آخر أمامنا، أن نقوم بعملنا في التغطية الصحافية أو نركّز في الأسرة وأمانها. أتكلم عني وعن الزملاء. وقررت الانتقال مجدداً إلى مستشفى «ناصر» في خانيونس، وبقيت أسرتي في النصيرات.

وتكرر المشهد أيضاً، الضحايا والتدمير، وأمام هول المشاهد والأحداث، كان فيّ ما يدفعني إلى مواصلة التغطية لفضح الاحتلال بالصوت والصورة، فاستمررت في عملي بنقل الصورة على الهواء مباشرة.

كنا نخرج لتغطية الاستهدافات داخل خانيونس، وربما لتغطية انتشال شهداء، ولكنّنا لم نكن نعرف إن كنا سنرجع على أقدامنا أم سنرجع شهداء. كنا ننطلق الشهادتين أكثر من مرة، ففي كل لحظة هناك احتمال أن نتعرّض لغارة، رغم الدرع واللباس المميز لنا كصحافيين، ولكن ما تبيّن في هذه الحرب، أنه لا يوجد شيء يحمي أمام هذه الضربات إلا رب العالمين.

كثيراً ما كانت وسيلة نقلنا «الكرات» التي تجرها الحيوانات، لانعدام الوسائل الأخرى، بسبب انقطاع الوقود وعدم توافره. صوّرنا الناس فوق ركام بيوتهم، وصورنا الضحايا داخل المستشفيات، ونقلنا معاناتهم وأوجاعهم. كنا لسان حالهم وعينهم في نقل المعاناة إلى العالم، نقل الإجرام، نقل المحرقة، المقتلة التي يعيشها شعبنا حتى الآن.

انتقلنا أنا والطاقم مجدداً، هذه المرة إلى رفح، وأسرتي معي. بعد الذي قلته، هناك ما هو أصعب، وهو فقدان والدي. توفّيت والدتي بعد شهرين من الحرب، كانت مريضة ومقعدة، نزحت معنا إلى رفح. ووالدي رفض الخروج من غزة، ورغم كل مطالباتنا ونداءاتنا له ليخرج معنا، إلّا أنه رفض. واستشهد بعد وفاة والدتي بسبعة عشر يوماً، وكان هذا من أصعب المواقف التي تعرّضت لها على الصعيد الشخصي. أشعر بالحزن حتى الآن، قلبي انفطر، ولكن نحن مؤمنون بقضاء الله وقدره. ومع ذلك، مستمرّون في التغطية ولن نترك المكان.

حنين حرارة

تتوالى الأيام ثقالاً علينا في ظل العدوان المتواصل والجرائم المرتكبة بحقنا جميعاً في قطاع غزة. قبل مئة يوم نزحنا إلى جنوب القطاع تاركين كل شيء في سبيل الأمان لعائلاتنا وأطفالنا وكبار بات علينا نحن الزملاء الذين لسنا تحت النار أن نوثّق تجربتهم، احتراماً وتقديراً لهم، ووفاء لأرواح زملائنا الشهداء، ومساهمة بسيطة في معركة كبيرة بين «حقنا» و«باطلهم» لتكون شاهدة على مقتلة أخرى موازية حدثت في القرن الحادي والعشرين في فلسطين، في قطاع غزة تحديداً. فهؤلاء الزملاء الذين ينقلون الحدث لحظة بلحظة، بالتزام كامل بالمهنية، بنقل الحدث فقط، امتدّت إليهم يد إسرائيل لتقتلهم، وامتدت إليهم يد أميركا والغرب لتغطّي الجريمة وتحميها وتبرّرها. فقُتل المزيد من الصحافيين، وقُتلت عائلاتهم، وائل الدحدوح واحد منهم. وفي الملف الذي أعددناه بالتعاون مع الزميل الصحافي من قطاع غزة والمقيم في بيروت وسام المقوسي، شهادات لصحافيين عايشوا تجارب مريرة، سواء أفي تغطيتهم اليومية أم بتلقّيهم تهديدات بالقتل، أم بتنفيذ هذا القتل لزملاء لهم وأهل وأصدقاء

(محمد سباعنة)

السن والمرضى. لا مجال للمراهنة على وضع ضبابي لا نملك أدنى فكرة عن مستقبله. الاحتمالات كثيرة والرعب واحد، والواجب أيضاً يضعنا في دائرة الخطر القريب.

كصحافية وأم لديها من الأبناء ثلاثة دون العاشرة، كان الأمر أشبه برحلة عذاب، ولا سيما أننا فقدنا الاتصال بزوجي الذي يعمل داخل الأراضي المحتلة. تنقّلنا مجبرين إلى جنوب القطاع، حيث لا مكان لنا هناك، وحدهم الأصدقاء من أزرونا في محنتنا واحتضنونا جميعاً في بيوتهم.

كنّا نزيد عن خمسين فرداً من الرجال والنساء والأطفال من مختلف الفئات العمرية، نصطفّ جميعاً للنوم في مساحة صغيرة. نصطفّ مجدداً في طابور الصباح لدخول الحمّام، وطابور الرجال خارجاً للحصول على مياه الشرب على بعد كيلومترات من المنزل. بلي هذه الطوابير، طابور الخبز وطابور المؤن الغذائية المزدحمة بالنساء والأطفال والرجال.

كارثة إنسانية حقيقية لم نشهدها طوال حياتنا. واصلت عملي في المنطقة التي نزحت إليها موثقة للقصص الإنسانية حولي، مخاطبة الجمهور الخارجي بحقيقة ما يحدث من أحداث مأساوية وأوضاع إنسانية تنذر بأزمات متلاحقة.

أصبحت حياتي قتالاً على مدار اليوم، بين مهماتي وأولوياتي كأم وبين عملي في الميدان. بعد أيام أطلقَ سراح زوجي عبر معبر كرم أبو سالم، الأمر الذي كان يثقل كاهلي في المدة السابقة، ولا سيما حين يسألني أبنائي «وين أبوبا؟» ماذا عساي أن أجيبهم؟ الصواريخ من فوقنا وحولنا تنهال علينا. والله وحده يعلم إن كنا سنخرج من هذه الحرب أحياء جميعاً أم لا! ننام كلنا على بطانية واحدة، ونستخدم أخرى كغطاء، أنظر كل ليلة إلى سقف الغرفة، وأبحث في زواياها عن أمن ركن فيها، هل عسانا ننام هنا أم هنا؟ كي نستطيع الخروج أحياء منها في حالة حدث استهداف قريب أو استهداف لنا جميعاً. حتى في هذه الحالة يوجد أمل في النجاة، يخيّل إليّ دائماً أيدي أطفالي وأعوذ بالله من فواجع الإقدار.

خرج زوجي وأصبحنا نخرج سوياً إلى الميدان، يؤنس بعضنا بعضاً في ظل الخطر، ونتشارك المهمات اليومية. أنطلق أنا في طريقي لتوثيق قصص النساء والمرضى والأطفال وينطلق هو لتلبية أحتياجات العائلة.

الخطر كان يتصاعد في كل مرة والموت كان وشيكاً، إلّا أنّ أقدار الله لها واقع آخر، أن نستمرّ في التغطية، نستمر في الوقوف رغم كل ما يحدق بنا من مخاطر.

نمارس العمل الصحافي في ظل ظروف استثنائية، رغم محاولات الاحتلال المستمرة لإخماد الصوت الفلسطيني عن طريق تدمير المكاتب الإعلامية وقتل الصحافيين وتدمير بيوتهم وإلحاق الضرر بعائلاتهم. سياسة العقاب الجماعي التي طالتنا جميعاً هنا في قطاع غزة مستمرة، ولكنّنا أيضاً مستمرون في نقل الصورة والحقيقة. لا يملك الصحافي هنا، سوى صوته، فلا حماية حقيقية تكفل أمنه واستقراره وسلامته، لا أدوات حماية كالدروع والخوذة، لا مكان آمناً للبقاء، لا ظروف صحية مناسبة لرعايتهم وقت الأزمات، ولا حتى وصول لطعام أو شراب جيدين. الجميع هنا يواجه المصير نفسه.

انقطاع الإنترنت والاتصالات معضلة كبيرة في عملنا الصحافي، فلا نستطيع أحياناً الوصول إلى المصادر، ولا إلى الزملاء، ولا إلى المستشفيات ولا حتى إلى العائلات.

حواجز الاحتلال: كابوسٌ يلاحق صحافيّي الضفة

يمنى حميدي

في هذه المادة شهاداتُ لصحافيَّيْنِ فلسطينيينِ من الضفة الغربية، يسعى الاحتلال الإسرائيلي بكلّ قوته لتغييبهم عن المشهد، فقد أصبح الصحافي الفلسطيني في الضفة وقطاع غزة هدفاً عسكرياً لقيمة الحقيقة التي يرصدها، وسلطتها التي تفوق أعتى الأسلحة والترسانات العسكرية.

منذ 7 تشرين الأول، تجاوز عدد الشهداء الصحافيين حاجز المئة، واعتقلت قوات الاحتلال ما يقارب 56 صحافياً وفق تقرير صدر عن نقابة الصحافيين الفلسطينيين. ليس ذلك فحسب، يتعرّضُ الصحافي أيضاً للضرب والقمع والمنع، عبر الحواجز، من الوصول إلى التغطية. كل ذلك يجعلنا نفقد الثقة في حصانة الصحافي الممنوحة إليه من قبل معظم الأعراف الدولية، إذ أصبح استهداف الصحافيين واضحاً للعيان، وعلى مرأى العالم أجمع من دون أن يُحرّك أحدٌ ساكناً، فيبقى الصحافي يحاول وحده مواجهة الاستهداف الإسرائيلي لذاته وللمهمة التي يؤديها.

في الضفة الغربية، يعيشُ الفلسطينيون إبادةً صامتة، تتمثّلُ في الاقتحامات المستمرة للقرى والمدن والمخيمات، إضافةً إلى شنّ حملات اعتقالاتٍ واسعة في صفوف المواطنين. كما عمد الاحتلال، بعد 7 تشرين، إلى زيادة عدد الحواجز والبوابات الحديدية التي تفصل بين المدن والقرى الفلسطينية، إذ أصبح عددها ما يزيد على 690 حاجزاً وبوابة بحسب ما صرّح أمير داوود، المدير العام للنشر والتوثيق في هيئة الجدار والاستيطان. وفي هذا السياق، يمارس الاحتلال العقوبات الجماعية على الصحافيين الفلسطينيين على الحواجز من خلال التنكيل بهم، وتفتيش هواتفهم ومعداتهم الصحافية بشكلٍ دقيق، واحتجازهم لساعاتٍ طويلة تحول دون وصولهم إلى أماكن عملهم، إذ يضطرّون في كثير من الأحيان إلى استبدال الطرق الرئيسية بطرق أخرى بديلة والالتفاف لمسافاتٍ طويلة عبر الجبال والطرق الوعرة التي تستغرق وقتاً وجهداً أطول.

هادي صبارنة، صحافيّ من مدينة الخليل يسكن في رام الله ويعمل مع قناة «الجزيرة مباشر»، تعرّض عشرات المرّات لتنكيل واحتجاز من قبل الاحتلال عبر الحواجز أثناء ذهابه لممارسة عمله. يقول: «قبل 7 أكتوبر، كنت أذهب في ساعاتٍ متأخرةٍ من الليل لتغطية الأحداث مهما كانت، على الرغم من خطورة هذا الأمر. لكن بعد 7 أكتوبر اختلف الأمر كلياً، فأصبحت أتجنّب الذهاب إلى التغطية خارج مدينة رام الله بشكلٍ نهائي».

«في إحدى المرّات، ذهبت من مدينة رام الله باتجاه مدينة نابلس لتغطية تشييع شهداء فلسطينيين من المدينة. وأثناء الإياب ذهبت باتجاه قرية دير شرف التي تقع شمال غرب مدينة نابلس، انتبه جنود الاحتلال الذين يقفون على حاجز القرية لسيارتي التي يوجد على مرآتها الأمامية شعار الصحافة، فطلبوا مني الوقوف إلى جانب المربعات الاسمنتية والخروج من السيارة». يتابع: «طلب الجندي آنذاك مني هويتي الشخصية، وكنت أحمل هاتفين، أحدهما للعمل والآخر شخصي. أخذ الجندي يفتش الهاتف فوجد في الاستديو الفيديوات التي قمت بتصويرها أثناء تشييع الشهداء في المدينة، وأخذ الجندي يبدأ بالضحك ويقول لي: «كل فيديو بدي أحجزك عليه ساعة، وأنت عندك ثلاثة فيديوات، وأنا بدي أحجزك ثلاث ساعات».

بالفعل، احتجز ما يقارب الثلاث ساعات، من الساعة الثامنة حتى الحادية عشرة ليلاً: «وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة، فكل حاجز أمرّ عبره، يقوم جنود الاحتلال باحتجازي لأوقات تصل إلى ساعات مع تهديد بالاعتقال ومصادرة هواتفي ومعداتي الشخصية».

الصحافي رائد الشريف، الذي يعمل مع قناة «الغد» من مدينة الخليل، يواجه كغيره من الصحافيين الفلسطينيين في كل حيّ ومدينة وشارع حواجز للاحتلال: «عندما كنت أريد الذهاب من مدينة الخليل إلى مدينة بيت لحم، كنتُ أستغرق حوالي نصف ساعة، أمّا اليوم فقد تأخذ الطريق حوالي ثلاث ساعات». يشير الشريف إلى حادثة تعرّض لها أثناء ذهابه إلى مدينة بيت لحم لتغطية الإفراج عن الأسيرات ضمن صفقة التبادل بين المقاومة والاحتلال: «أثناء مروري عبر حاجز «النشاش» الذي يقع عند المدخل الجنوبي لمدينة بيت لحم، أوقفنا جنود الاحتلال وشرعوا بضرب السيارة بأسلحتهم، كما صوّبوا البندقية باتجاه المصوّر، وتلفّظوا بألفاظ وكلمات بذيئة، وقاموا بتفتيش السيارة، وبعد ذلك سمحوا لنا بالمرور». يغلق الاحتلال حاجز «النشاش» بعد الساعة السابعة مساء، ونظراً لذلك «عندما انتهت تغطيتنا في مدينة بيت لحم، لم نستطع العودة من الحاجز، واضطررنا إلى سلوك طرق فرعية طويلة وخطيرة، يتواجد فيها المستوطنون بحماية جنود الاحتلال الذين يتعدّون في أيّ لحظة على السيارات بإطلاق النار أو الضرب بالحجارة».

أمّا الصور الصحافي عصام الريماوي الذي يسكن في مدينة رام الله، فيضطر في كثير من الأحيان، أثناء تغطيته في محافظات شمال الضفة، إلى تجنّب العودة إلى المنزل في ساعات متأخرة: «عندما يحدث اقتحام لمدينة نابلس أو جنين أو طولكرم الذي يستمر لساعات طويلة، أضطر إلى حجز فندق في هذه المدن، والبقاء، فيه، تجنباً للمرور عبر الحواجز أثناء الليل». «الأمر بعد 7 أكتوبر اختلف كلياً، فأصبحت أتجنّب الذهاب إلى التغطية ليلاً، وأبحث دائماً عن أي طرق فرعية أتجنب من خلالها المرور عبر الحواجز التي يتحكم بها جنديّ حسب مزاجه».

يتعمّد الاحتلال أذية الصحافي الفلسطيني بشتّى الطرق، وخيرُ برهانٍ على ذلك شهادة الصحافي محمد تركمان الذي يعمل لدى «الجزيرة مباشر» وكان قد تعرّض لإطلاق نار مباشر من قبل مستوطنين أثناء أداء مهمة صحافية، يقول: «بعد 7 أكتوبر، ذهبتُ إلى بلدة قصرة جنوب شرق مدينة نابلس لتغطية تشييع شهداء في البلدة، وعندما اقتربت من الوصول، كان الاحتلال يحتجز سيارات الإسعاف بالقرب من البلدة، فبدأت بتصوير هذا الحدث من داخل السيارة التي تحمل شعار الصحافة، وحالما رأى المستوطنون ذلك قاموا بإطلاق النار علينا، وعلى إثر ذلك استشهد شاب ووالده، وتم احتجازنا قرابة الساعتين». نتيجةً لهذه الحادثة، أُرغم تركمان، كغيره من الصحافيين، على تجنب الخروج خارج مدنهم للتغطية.

> يمارس الاحتلال العقوبات الجماعية على الصحافيين الفلسطينيين على الحواجز من خلال التنكيل بهم، وتفتيش هواتفهم ومعداتهم الصحافية بشكلٍ دقيق، واحتجازهم لساعاتٍ طويلة

(أ ف ب)

طوفان الأقصى

فواز طرابلسي عن «زمن اليسار الجديد» [2]

أسعد أبو خليك *

الحديث هنا عن كتاب فواز طرابلسي الجديد، «زمن اليسار الجديد»، الصادر عن دار رياض نجيب الريّس. تأثّر طرابلسي في صباه بأجواء سياسيّة متنوّعة تدور في فلك اليسار آنذاك: من الحزب التقدّمي والحزب الشيوعي إلى أجواء قوميّة بعدها. بعد مدرسة برمّانا يلتحق طرابلسي بكليّة في مانشستر في بريطانيا. انتسب هناك إلى جناح يساري ماركسي في حزب البعث، يقوده قيس السامرائي (الذي سيصبح في ما بعد من قياديّي الجبهة الديموقراطيّة لتحرير فلسطين، ص. 38). وربما بسبب الانتماء السياسي القومي، كانت مسيرة طرابلسي أوسع من اهتمام الشيوعيّين التقليديّين ونشاطهم في لبنان، فتراه يهتم بالثورة الجزائريّة والقضيّة الفلسطينيّة والقضيّة اليمنيّة التي كان قريباً من قادتها لسنوات طويلة (وكتب عنها في «جنوب اليمن في حكم اليسار: شهادة شخصيّة»). فَضْل المؤلّف «البعث» على حركة القوميّين العرب لغياب المضمون الاقتصادي الاشتراكي عند الأخيرة (ص. 40). ويوضح طرابلسي أن الانفصال أسهم في اكتشاف الاشتراكيّة عند القوميّين العرب والناصريّين لانكشاف ضلوع «ملاك الأرض ورجال الأعمال» في مؤامرة الانفصال (ص. 41). وهذه المصالح مؤلت الانقلاب على النظام الوحدوي (بالتشارك طبعاً مع أنظمة خليجيّة وحكومات غربيّة). ويلاحظ طرابلسي عن حقّ أن النظام الناصري انحاز للاشتراكيّة في تلك المدة، وليس قبلها (أدّى ذلك إلى تأسيس «اتحاد قوى الشعب العامل»، وهو غير التنظيم اللبناني المعروف بهذا الاسم والذي كنّا نطلق عليه بعد 1976 تسمية «القشع» سخريةً منه بسبب تحالفه مع التدخّل العسكري السوري).

يلحظ طرابلسي المفارقة في أن «البعث» والناصريّين كانوا يشدّدون على الاشتراكيّة فيما كانت الأحزاب الشيوعيّة غارقة في التنظير لـ«ثورة وطنيّة ديموقراطيّة»، وأحياناً بقيادة البورجوازيّة الوطنيّة» (ص.41-42). مال طرابلسي إلى التروتسكيّين الذين كانوا «أكثر تجاوباً مع القضيّة الفلسطينيّة من سائر تنظيمات اليسار» (ص. 42). لا يشرح طرابلسي سبب ذلك، ولكن دور الاتحاد السوفياتي كان مهيمناً على الأحزاب الشيوعيّة. كان أقلّ حل القضيّة الفلسطينيّة في موسكو محدوداً بتأييد «القرارات الدوليّة» التي اتت دائماً في مصلحة إسرائيل والتي لم تذكر الشعب الفلسطيني بالاسم. لم تتخصّص الأحزاب الشيوعيّة (مثل الأحزاب القوميّة) في القضيّة الفلسطينيّة لأنها كانت ستخسر مغادرته لتجربة «البعث». كُتب الكثير مؤخراً عن وضاح شرارة على ضوء الاهتمام بتاريخ اليسار اللبناني. وبعض الاهتمام باليسار اللبناني غير بريء إذ هناك محاولة مقصودة من اليمين لتعظيم دوره وذلك من باب المناكفة مع حزب الله، كما أن الصحف اليمينية السعوديّة تعظّم من أسطورة «جمّول» لتبخيس المقاومة الإسلاميّة حقّها. بلغت المحاولة اوجها في مقابلات الياس عطاالله الأخيرة مع صحيفة «نداء الوطن»، إذ سرق عمليّة اليوميي من الحزب السوري القومي الاجتماعي. لكن لا يمكن إنكار دور شرارة في تشكيل تنظيمات «اليسار الجديد»، من دون النظر في تأثير هذا اليسار أو تقييم مساهمته في العمل الوطني في لبنان. ظلّ طيف وضّاح شرارة ظاهراً في دهنيّة التشكيلات اليساريّة حتى أواخر السبعينيّات. لا أزال أذكر عندما فاتحني كمال يازجي في أوائل الثمانينيّات في الجامعة الأميركيّة في بيروت في أمر الانضمام إلى مجموعة يساريّة فوضويّة جديدة كان شرارة يُوجّهُها. لم ترق لي فكرة «التنظيم» و«الفوضويّة» في ذلك الحين وما عرفتُ ما آلت إليه تلك التجربة. أي إنّ وضاح شرارة كان فاعلاً في اليسار اللبناني منذ أوائل الستينيّات حتى السبعينيّات، قبل أن يتفرّغ لدور يميني صريح في إعلام الحريريّة والسعوديّة عبر العقود. عرّف شرارة، الوثيق الاطلاع مبكراً على الإنتاج اليساري في فرنسا، أجيالاً من اليساريّين اللبنانيّين على كتابات لم يعرفوها من قبل. أذكر أنه هو كان المبادر في نشر كتابات كاستورياديس بيننا في أواخر السبعينيّات وأوائل الثمانينيّات. لكن شرارة لا يقيم طويلاً مع مفكّر، والثابت في مسيرته الطويلة كان الاستقرار في حضن اليمين.

وكانت المجموعة التي انضم إليها وضّاح تميل لتشكيل جناح يعني (آخر) معارض قبل أن يستقرّ القرار على إنشاء مجموعة يساريّة جديدة. لا شكّ أن «البعث» كان له صدى كبير في أوساط المثقّفين والطلاب. عندما كتبتُ أطروحة الماجستير في الجامعة الأميركيّة في بيروت (عن حزب العمل الاشتراكي العربي-لبنان) وتحدثتُ عن انجذاب المثقّفين العرب لحركة القوميّين العرب، صحّحني منح الصلح (وكان عضواً من خارج الجامعة في تحكيم الأطروحة) وذكّرَ بحجم النفوذ البعثي في الجامعات والمدارس. قال إنه كان أعظم من تأثير الحركة

في أوساط الشباب. يصعبُ على جيلي، وعلى الجيل الجديد بالتأكيد، أن يفهم جاذبية «البعث»، لكن علينا أن نتذكّر أن ذلك كان قبل أن يحمل الحزب وصمة الحكم في سوريا والعراق.

هذه المجموعة اليساريّة الجديدة عُرفت باسم «لبنان الاشتراكي». وكانت العلاقات متشعّبة بين تنظيمات اليسار. فوضّاح كان في صدد مجموعة بعثيّة منشقّة قبل أن ينضم إلى التنظيم اليساري الجديد، ولكنه بقي على اتصال «باحمد ستيتيّة، القيادي في حركة القوميّين العرب الذي يتفاوض مع نخْلة المطران، أبرز وجوه التيّار اللبيني» في الحزب الشيوعي اللبناني ومع تيّار شيوعي آخر متأثّر بالشيوعيّة الإيطاليّة (ص. 50). وانضمّ وضّاح شرارة وكريستيان غازي إلى «التيّار اللبيني» في داخل الحزب الشيوعي. يبدو وضّاح من سيرة طرابلسي (ومن كتاب فادي بردويل «الثورة والخيبة»)، الذي كان أقرب إلى سيرة هاغيوغرافيّة لوضّاح) أن شرارة كان دائم الترحال الفكري والحزبي تميل لتشكيل جناح يعني (آخر) معارض قبل أن يستقرّ به المقام إلا بعد أن وجد نفسه في صف اليمين. هو توقّف عن الانتقال التنظيمي عندما وجد نفسه في اليمين وفي خدمة المشروع المعادي لليسار. وهو أجاد في هذا الدور إلى درجة أنه كان مطلوباً: تراه يكتب في جريدة رفيق الحريري وفي جريدة خالد بن سلطان وأخيراً في موقع مموّل من حكومات «الأطلسي» وسوروس. من حقّ شرارة أن ينتقل ويتغيّر، ولكن يبقى السؤال: لماذا يكون الترحال الفكري بين متقّفي لبنان دائماً في اتجاه واحد، نحو أنظمة الخليج؟ هل أن الحجّة لدن الأمراء والشيوخ تتفوّق على الحجّة في خندق أعدائهم؟ وهل أن المكافأة الماليّة للانتقال نحو الخليج ليست مُسبّباً أو إغراء؟ ولماذا لا نسمع عن انتقال بالاتّجاه المعاكس، من اليمين إلى اليسار؟ وهناك حالات مشبوهة طبعاً: كيف أن توفيق الهندي (الذي اعترف عند التحقيق معه في التسعينيّات بالتخابر مع العدوّ الإسرائيلي) بدأ عمله السياسي في الجناح الأكثر ثوريّة في «فتح» (مع ناجي علّوش) قبل أن يجد نفسه في القوّات اللبنانيّة؟ هل هذا كان انتقالاً أم اختراقاً من البداية؟

بدأ إصدار نشرة «لبنان الاشتراكي» في عام 1966. هنا من الضروري وضع الرواية في سياقها التاريخي. يجهل جيل الشباب جوّ القمع الذي كان سائداً في لبنان في تلك السنوات. لم يكن الأمر مزحة. أجهزة المخابرات اللبنانيّة حينها كانت مخيفة ولا تتورّع عن معاقبة سياسيّين: عملاء «المكتب الثاني» شطبوا وجهيْ الصحافي ميشال أبو جودة والنائب نسيم المجدلاني بسبب انتقادات للأمير فؤاد شهاب (كان شهاب يحرص على لقب الأمير). ورأيتُ بأم عيني الندبة الطويلة على وجهيْ الرجليْن. كما أن الغرب كان يلزم أعمال محاربة الشيوعيّة لأجهزة المخابرات اللبنانيّة، على الأرجح. مجموعة الشباب هذه كانت تجازف في العمل اليساري السرّي. وكان للحزب الشيوعي حزب وقيادة ظلّ رديفة تستعدّ لتحمّل المهمات في حال اعتقال قيادة الحزب وأعضائه (تعلّمت الأحزاب اليساريّة المنوعة الكثير عن ضرورة السريّة بعد الحملة الشرسة من نظام فؤاد شهاب ضد الحزب القومي). الأسماء الحركيّة كانت معتمدة لكن لبنان بلد صغير والناس تعرف بعضها من وجوهها (يذكر أحدهم في معسكر تدريب في جنوب لبنان في أواخر السبعينيّات كيف أن مسؤولاً حزبيّاً زار الرفاق وصاح بهم: من منكم عبدالله... لأن عمّته تتصل بالمكتب وهي قلقة عليه. ذُهل الرفاق لأن الجميع كان يتعامل بالأسماء الحركيّة، وكان ذلك عندما كانت سطوة المكتب الثاني أضعف بكثير مما كانت عليه). لكن حتى في ذلك الزمن، عندما لا جوني عبده هو المسؤول، كان عند المخابرات اللبنانيّة قوائم بأسماء الذين يمرّون على مخيّمات التدريب اللبنانيّة والفلسطينيّة في الجنوب وكانوا على الأرجح يقدّمون المعلومات للإسرائيليّين (جوني عبده كان يستضيف أرييل شارون في منزله، وزار -حسب ما نُشر في إسرائيل- الأخير في مزرعته في النقب).

(يتبع)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

يبدو وضّاح من سيرة طرابلسي (ومن كتاب فادي بردويل «الثورة والخيبة»، الذي كان أقرب إلى سيرة هاغيوغرافيّة لوضّاح) أن شرارة كان دائم الترحال الفكري والحزبي وأنه لم يستقرّ به المقام إلا بعد أن وجد نفسه في صف اليمين

“

خطة الاحتواء الأميركية قيد التطبيق

سعد الله مزرعاني *

تناولنا في المقالة السابقة، السبت الماضي، البنود الأساسية التي بلورها وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن في جولته الأخيرة على عدد من الدول المعنية، الإقليمية والعربية. لم يكذّب الأميركيون خبراً. ها هو مستشار الأمن القومي في إدارة بايدن، جيك سوليفان، يعلن، رسمياً، الثلاثاء الماضي، في مؤتمر دافوس، الأهداف الرئيسية الثلاثة لهذه الخطة وفقاً للترتيب الآتي:

1- التطبيع الإقليمي مع إسرائيل (كل الإقليم!).
2- ضمان أمن إسرائيل.
3- إقامة دولة فلسطينية.

ينبغي تكرار التأكيد أن وظيفة هذه الخطة تمكين العدو الصهيوني أن يحقق، عبر المفاوضات والمناورات والضغوط الأميركية والأطلسية والخليجية، ما لم يستطع تحقيقه عبر سياسة القتل والتدمير والتهجير والتجويع... والإبادة. لقد منيت القيادة الإسرائيلية بخسائر عسكرية واقتصادية ومعنوية وأخلاقية فادحة. هي أصبحت بحاجة، فعلاً، إلى تدخّل إنقاذي: من نفسها ومن أخطائها، أولاً، وثانياً، لإنقاذ مصالح واشنطن والغرب الاستعماري، نتيجة الخسارة الإسرائيلية، باعتبار أن إسرائيل هي، قبل كل شيء، أداة مهمة في مشروع الهيمنة الغربية الاستعمارية على منطقة مشروع «الشرق الأوسط الكبير»، ونسخته الترامبية، مشروع «صفقة القرن»... وما قبلهما وبعدهما.

تتميّز الخطة الأميركية المذكورة بأنها قد تبلورت كخطة لواشنطن ولتل أبيب (رغماً عن جموح وجنون حكومتها الراهنة)، وللقوى الحليفة المحلية والإقليمية، وخصوصاً منها الأطراف العربية التي طبّعت قديماً أو حديثاً مع الدولة العبرية، أو هي الحركية، وكان ذلك عندما كانت سطوة المكتب الثاني أضعف بكثير مما كانت عليه). لكن حتى في ذلك الزمن، عندما لا جوني عبده هو المسؤول، كان عند المخابرات اللبنانيّة قوائم بأسماء الذين يمرّون على مخيّمات التدريب اللبنانيّة والفلسطينيّة في الجنوب وكانوا على الأرجح يقدّمون المعلومات للإسرائيليّين (جوني عبده كان يستضيف أرييل شارون في منزله، وزار -حسب ما نُشر في إسرائيل- الأخير في مزرعته في النقب).

(يتبع)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

ربطنا ما بين اندفاع حكام دولة الإمارات في تعميق وتوسيع التطبيع مع إسرائيل، وإذا ما أشرنا إلى أهمية إعادة إعمار قطاع غزّة الذي دُمّر بنسبة تزيد عن 50%، فإن الظن يذهب، منطقياً، إلى أن نائب الرئيس، أو رئيس الوزراء المقبل، سيكون الفتحاوي المنشق والمشبوه، محمد دحلان، أو من هو على شاكلته. تؤكد كل المعلومات، بأنه حتى الإفراج عن أموال «المقاصة» من الضفة الغربية، والتي هي عائدات ضريبيّة تحتكر جبايتها حكومة العدو، مشروط، أميركياً، بموافقة رئيس السلطة وفريقه على الخطة الأميركية!

أمّا في الشق المتعلّق بـ«حماس» والمقاومة عموماً في قطاع غزة، فتؤكد الخطة على: منع «حماس» والمقاومة من تشمير انتصارها، والعمل على إخراجها وإبعادها من وعن «القطاع». وليس صدفة أن المقترح القطري الأخير قد تضمن إخراج القائدين القسّاميين يحيى السنوار ومحمد الضيف ضمن صفقة التبادل المقبلة! يتزامن مع ذلك (عملياً) إسقاط الحكومة الإسرائيلية، واقتصادية ومعنوية وأخلاقية فادحة. هي أصبحت بحاجة، فعلاً، إلى تدخّل إنقاذي: من نفسها ومن أخطائها، أولاً، وثانياً، لإنقاذ مصالح واشنطن والغرب الاستعماري، نتيجة الخسارة الإسرائيلية، باعتبار أن إسرائيل هي، قبل كل شيء، أداة مهمة في مشروع الهيمنة الغربية الاستعمارية على منطقة مشروع «الشرق الأوسط الكبير»، ونسختيه الترامبية، مشروع «صفقة القرن»... وما قبلهما وبعدهما.

تتميّز الخطة الأميركية المذكورة بأنها قد تبلورت كخطة لواشنطن ولتل أبيب (رغماً عن جموح وجنون حكومتها الراهنة)، وللقوى الحليفة المحلية والإقليمية، وخصوصاً منها الأطراف العربية التي طبّعت قديماً أو حديثاً مع الدولة العبرية، أو هي الحركية، وكان ذلك عندما كانت سطوة المكتب الثاني أضعف بكثير مما كانت عليه). لكن حتى في ذلك الزمن، عندما لا جوني عبده هو المسؤول، كان عند المخابرات اللبنانيّة قوائم بأسماء الذين يمرّون على مخيّمات التدريب اللبنانيّة والفلسطينيّة في الجنوب وكانوا على الأرجح يقدّمون المعلومات للإسرائيليّين (جوني عبده كان يستضيف أرييل شارون في منزله، وزار -حسب ما نُشر في إسرائيل- الأخير في مزرعته في النقب).

(يتبع)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

ربطنا ما بين اندفاع حكام دولة الإمارات في تعميق وتوسيع التطبيع مع إسرائيل، وإذا ما أشرنا إلى أهمية إعادة إعمار قطاع غزّة الذي دُمّر بنسبة تزيد عن 50%، فإن الظن يذهب، منطقياً، إلى أن نائب الرئيس، أو رئيس الوزراء المقبل، سيكون الفتحاوي المنشق والمشبوه، محمد دحلان، أو من هو على شاكلته. تؤكد كل المعلومات، بأنه حتى الإفراج عن أموال «المقاصة» من الضفة الغربية، والتي هي عائدات ضريبيّة تحتكر جبايتها حكومة العدو، مشروط، أميركياً، بموافقة رئيس السلطة وفريقه على الخطة الأميركية!

أمّا في الشق المتعلّق بـ«حماس» والمقاومة عموماً في قطاع غزة، فتؤكد الخطة على: منع «حماس» والمقاومة من تشمير انتصارها، والعمل على إخراجها وإبعادها من وعن «القطاع». وليس صدفة أن المقترح القطري الأخير قد تضمن إخراج القائدين القسّاميين يحيى السنوار ومحمد الضيف ضمن صفقة التبادل المقبلة! يتزامن مع ذلك (عملياً) إسقاط الحكومة الإسرائيلية، واقتصادية ومعنوية وأخلاقية فادحة. هي أصبحت بحاجة، فعلاً، إلى تدخّل إنقاذي: من نفسها ومن أخطائها، أولاً، وثانياً، لإنقاذ مصالح واشنطن والغرب الاستعماري، نتيجة الخسارة الإسرائيلية، باعتبار أن إسرائيل هي، قبل كل شيء، أداة مهمة في مشروع الهيمنة الغربية الاستعمارية على منطقة مشروع «الشرق الأوسط الكبير»، ونسختيه الترامبية، مشروع «صفقة القرن»... وما قبلهما وبعدهما.

تتميّز الخطة الأميركية المذكورة بأنها قد تبلورت كخطة لواشنطن ولتل أبيب (رغماً عن جموح وجنون حكومتها الراهنة)، وللقوى الحليفة المحلية والإقليمية، وخصوصاً منها الأطراف العربية التي طبّعت قديماً أو حديثاً مع الدولة العبرية، أو هي الحركية، وكان ذلك عندما كانت سطوة المكتب الثاني أضعف بكثير مما كانت عليه). لكن حتى في ذلك الزمن، عندما لا جوني عبده هو المسؤول، كان عند المخابرات اللبنانيّة قوائم بأسماء الذين يمرّون على مخيّمات التدريب اللبنانيّة والفلسطينيّة في الجنوب وكانوا على الأرجح يقدّمون المعلومات للإسرائيليّين (جوني عبده كان يستضيف أرييل شارون في منزله، وزار -حسب ما نُشر في إسرائيل- الأخير في مزرعته في النقب).

(يتبع)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

بـ«الانسحاب الكامل من الأراضي المحتلة عام 1967، مقابل الاعتراف العربي الكامل» بدولة العدو. كان القرار، في الواقع، تبنياً للاقتراح السعودي الذي قدّمه، باسم المملكة وضغطَ من أجل إقراره، الأمير عبدالله ولي العهد السعودي آنذاك.

في ظل هذه الخطة، وكجزء منها، للاحتواء ولتبرير توسيع وتعزيز التطبيع، تصبح «الدولة الفلسطينية»، كما في عنوان وخطة بلينكن وسوليفان، دولة تابعة وخاضعة ومرتهنة مباشرة (أو مداورة) لواشنطن وتل أبيب وحلفائهما، عبر قيود وإجراءات والتزامات وابتزاز وممثلين «جدد»، من ضمن خطة الهيمنة الأميركية، وكإحدى «ضمانات» أمن الكيان الصهيوني الموعودة!

تصطدم هذه الخطة بإصرار نتنياهو على مواصلة المعركة، وفقاً للصيغة القائمة، آملاً تحقيق انتصار يجنبه الهزيمة والعقاب. ثم إن نتنياهو مرتهن، في بقائه وموقفه، للطرف الأكثر عنصرية وغلواً في فريقه الحاكم. شكّل هذا الأمر، وخصوصاً بعد تلاحق الهزائم، عنصر إرباك لواشنطن التي انتقلت قيادتها إلى المطالبة، علناً، بتغيير الحكومة الإسرائيلية، بعد أن كانت تطالب، من دون جدوى، بتغيير بعض مواقفها.

هذه الخطة تصطدم، أيضاً، بعوامل أعمق بعد انكشاف الدور الأميركي: في مرحلتي الإبادة، ثم العجز والإخفاقات والهزائم والسقوط المعنوي والأخلاقي لإسرائيل وواشنطن خصوصاً. ليس من السهل عزل المقاومة في غزة، ولا إخماد المقاومة المتنامية في الضفة شعبياً وسياسياً وعسكرياً، ما بعد بانتفاضة كبرى إذا ما استمر التصعيد الإرهابي الإسرائيلي. الشعب الفلسطيني مستنفر ومدرك لحجم ما حقّقه من انتصار، وما تكبده من خسائر هائلة، وما يُحاك ضده من مكائد ومؤامرات. لتبديد بطولاته، وتضييع تضحياته، وإثارة الانقسام في صفوفه، وتصفية قضيته. المعركة مفتوحة وشاملة. والخطة الأميركية ينبغي أن تُواجه بخطة تحررية مضادة متكاملة: جدية، وجذرية، وجديرة ببطولات وتضحيات الشعب الفلسطيني، وبمواجهة مؤامرات ومشاريع الفريق الأميركي. أمّا فلسطينياً، فمن المفيد والحيوي جداً الإصغاء، إلى مُقترح، أكثر من رددته أخيراً د. مصطفى البرغوثي: تشكيل حكومة ثورية فلسطينية مؤقتة، واحدة وموحَّدة، تقود كفاح الشعب الفلسطيني في هذه المرحلة الانعطافية والمصيرية.

* كاتب وسياسي لبناني

إسناد حزب الله لغزة: ضرورات الجغرافيا والتاريخ والدين

صادق النابلسي *

ماذا لو نجحت إسرائيل في أيام أو أكثر في القضاء على المقاومة في غزة واجتياح القطاع وإرغام أهله على مغادرته إلى سيناء أو بلدان أخرى؟ ألا يعتقد أولئك الذين ينتقدون حزب الله، على جهده الحربي الإسنادي للفلسطينيين، أنّ إسرائيل سترى أنّ الوقت مناسب لتوسيع الفرص بضرب لبنان؟

تعتبر إسرائيل أنّ حقها في استخدام القوة العسكرية المفرطة، إذا ما ظهر أي تحدٍ لهيمنتها وموقعها ومكانتها أو تهديداً، هو جزء من الدفاع عن النفس. القوة هي مقياس كل شيء. فطالما تمتلك إسرائيل هذه القوة فإنها ستقوم بشن حرب أو ضربات ولو انبثقَ على أسس مريبة (الحرب الوقائية). المهم بالنسبة إليها القيام بالعمل الحربي بطريقة ذات مصداقية في أعين سكانها ورعاتها، وليس على أي أساس في القانون الدولي الذي تحوّل مع الوقت إلى شبكة تحاصر الضعفاء فيما تسمح للأقوياء بالمرور. فكيف إذا كان بينها وبين مَن يسكن في جوارها صراع وجودي؟ وكيف إذا كان بينها وبين حزب الله ثارات يُتوقع أن تظل حتى يُزيل أحدهما الآخر؟

مَن يعتقد أنّ حزب الله يستدعي حرباً إسرائيلية يتناسى ماهية إسرائيل وتاريخها الإجرامي بحق لبنان والفلسطينيين. إنّ السيطرة على لبنان جزء محوري في الاستراتيجية الإسرائيلية وليس له علاقة البتة بحزب الله، بل وحتى قبل ظهور الغاز في بحره. السيطرة على لبنان كان محل اهتمام دائم لدى القيادات الإسرائيلية التاريخية (مطالب الاتساع المستمر)، وقبل أن يظهر الحزب على مسرح الأحداث الفلسطيني في العقود الأخيرة كفصيل مقاوم شرس أستطاع إبطال سياسات القوى الغربية في لبنان وبعض بلدان المنطقة وجعل إنهاء القضية الفلسطينية أمراً مستحيلاً.

بعد عام 2006 كانت إسرائيل قيد الإعداد بالفعل لحرب جديدة. مَن تابع المناورات العسكرية والجهد الاستخباري والاستعداد اللوجستي يدرك أنّ إسرائيل كانت تنوي شن «حرب استباقية» وإنْ باتت أصعب مع معادلات الردع التي أرساها الحزب وتمكّن عبرها من تعطيل عنصر المفاجأة لا النوايا. إنّ الغريب أن يبدي الصهاينة إدراكاً بأمن كيانهم أكثر مما يبديه بعض اللبنانيين بأمن بلدهم.

رَدّ فعل هذا البعض الذي ينتقد دور الحزب في معركة الإسناد إنكارٌ للثوابت التي تقوم عليها استراتيجية أي دولة وأي أمّة، وهي ثوابت الجغرافيا والتاريخ والدين. هذا البعض لا يريد من لبنان القيام بأي شيء في نطاق المحن. بل لا يريد أن يكون هناك رغبة لفعل أي شيء. ماساته هي بفقدانه الذاكرة والحلم. نسي ما فعلته إسرائيل بلبنان، وما همّه أن تعود فلسطين إلى الفلسطينيين والعرب. ليس صدفة أن يستعيد «فريق الحياد» نشاطه وبضع ما يقوم به حزب الله في الجنوب في إطار التباين الثقافي النفسي أيضاً. برَعمه أنّ «فريق المساندة» الذي يتزعمه حزب الله يريد أن يجرّ اللبنانيين إلى الماضي و«ولايته»، والمطلوب حتى تتطور عملية التغيير على مستوى المنطقة ويتحقق «السلام الشامل وإيجابياته»، عدم الالتفات إلى الماضي. فريقُ الحياد هذا يُصرّ على ضرورة التخفّف من الماضي وحمولاته (والهروب من الجغرافيا -إلا إذا كانت تؤدي إلى تطبيع العلاقة مع إسرائيل. والانقطاع عن التاريخ). ويقول مؤيدوه: إنّه إذا كان لا بد من العودة إلى التاريخ، فلكي نعرف عنه وليس لكي نتمسك به! هكذا ببساطة على كل اللبنانيين أن يقاربوا القضية الفلسطينية معرفياً، أي من دون تحويل المعرفة إلى إرادة سياسية تقود إلى عملية تحرير الأرض.

إذا كان حزب الله يعتبر أنّ التدخّل في هذه المعركة يقوم على مبدأ «استمرار الجغرافيا وتدفق التاريخ» فلأنه يريد أن يكون جزءاً من إرادة الأمّة. لم يكن اختراطه سياسته وحده، بل سياسة الأمّة التي ترفض حاكمية الاستعمار وهيمنته على تراب الوطن العربي وثرواته. فهو لم يأتِ بقواعد وأعراف جديدة. هذه هي قواعد وأعراف الأمّة. بل إنّ التدخل هو بمقتضى القرارات العربية الأولى التي تنصّ على وجوب مساندة فلسطين وشعبها قبل أن تتغيّر بمال النفط إلى قرارات لا تعكس مصالح العرب ولا تتناسب مع قيم أهل المنطقة الأصيلين ولا مع حجم وجودهم الحضاري والتاريخي.

يبدو أنّ بعض اللبنانيين غير مدرك بما فيه الكفاية لما يحدث في العالم. غير متنبّه إلى أنّ ما يحدث في فلسطين يدخل في نطاق الأمن اللبناني. وأنّ التعامل بالمنطق القبلي ما عاد يجدي في وقت العالم كله يتعامل على أساس أنه في عالم واحد ويتفاعل مع أخطار واحدة. أميركا تقول طلبها بوضوح، وهو أن تكون المنطقة بأسرها تحت عهدتها ونفوذها، وإسرائيل تصرّح، على لسان نتنياهو، بأنها تريد «تغيير الشرق الأوسط». وهنا مَن يريد أن نسلّم بشكل عشوائي كل أوراق اللعبة لهما.

إذا كانت أميركا ترى من حقها أن تكون المنطقة تحت نفوذها، وإسرائيل ترى أنّ من حقها التوسّع لشتى الاعتبارات، فلماذا لا يكون من حقي كلبناني أن أقاوم هذه المخططات؟ أمّا الكلام المسوّق حول الخلل في موازين القوى فلا تكون الإجابة عليه بالحياد والتلكؤ والرضوخ للموقف العدواني الإسرائيلي ومغامراته وانتقاد دور حزب الله، بل بالتوقف عن أوهام السلام والخروج بتصورات عملية طموحة تحصّن موقع لبنان وتعطيه الفرصة ليؤدي وظيفته القومية وليس لدفع لبنان خارج الوظيفة القومية. كان ينبغي أن يكون هناك تقدير أكبر من كل القوى اللبنانية لدور المقاومة التي تمنع الأسوأ عن لبنان لا تعزيز الرواية الإسرائيلية المليئة بالأكاذيب والتضليل والتوهين. إنّ تردي الوضع العربي وخذلان العرب للقضية الفلسطينية لا يجوز أن يشكّلا لحظة هروب للبعض من المسؤولية الوطنية والإنسانية، ولا يجوز أن يسمحا لأحد أن ينسى ضرورات الموقع ولا يجوز أن يجعلاه متشائماً تاريخياً.

عندما يتلكأ لبنان بعطي العدو فرصةً ليكون أكثر حركة وعدوانية ووحشية. موقف الهرب والالمبالاة والتلكؤ ليس موقفاً عقلانياً. الهروب سيجعل لبنان في حضن أميركا وإسرائيل. أمّا التكالب فستكون باهظة ومدمّرة على أمن لبنان واستقراره وسيُدخل البلد في دوامة من العنف عايشها الكل وعرف هولها ونتائجها. إنّ السؤال الذي من المفترض أن تجيب عنه القوى السياسية المناوئة لحزب الله هو حول مفهومها وتصورها للأمن. ما هو مطروح على لبنان هو الخضوع والاستسلام وتنفيذ المطالب الإسرائيلية. فهل تقبل بذلك هي وفي الوقت نفسه ترفع شعارات الاستقلال والسيادة؟ من الواضح أنّ هناك مأزقاً في التوفيق بين مطلب الحياد وضرورات السيادة. بين تحصين الأمن المحلي وتحقيق الشروط الخارجية. لا توجد صيغة أمام هذه القوى تخرج بها أمام الرأي العام اللبناني تحلّ بها هذا التناقض، لذلك هي مهتمة بالتشويش والتشكيك والتجييش الطائفي للتعويض عن هذا الإخفاق في تقديم تصوّر بديل عما تفعله المقاومة لحماية لبنان من موقع الجغرافيا والتاريخ والسياسة.

مَن يستمع إلى تصريحات بعض هذه القوى منذ أن بدأ حزب الله بالانخراط في عملية المساندة في الثامن من أكتوبر الماضي سيجد أنّ الطائفية هي الوعاء الأهم الذي تم اللجوء إليه طلباً لليقين وطلباً للشجاعة، بعد أن اهتزت رؤيته حول السيادة واصطدمت بمشاريع الغرب الذي يريد أن يرسم خريطة للمنطقة ولبنان، ينتزع فيها خطأ من هنا وأرضاً من هناك.

بعد السابع من أكتوبر لا بد أن تتغيّر الرواية اللبنانية التقليدية حول «قوة لبنان في ضعفه» والتي ما زالت قوى تعتقد بصحتها وتتبناها على مستوى الممارسة والخطاب العام. اللبنانيون بحاجة إلى تأكيد وجودهم الوطني وليس الطائفي، ودورهم ضمن الحقائق التاريخية والجغرافية وليس بالابتعاد عنها والانسحاب من استحقاقاتها.

اللبنانيون مطالبون بتغيير ما يجب تغييره حتى لا تستمر الكارثة، وتأكيد ما يجب تأكيده كي يواجهوا المستقبل أقوياء. رواية المقاومة هي رواية الإرادة الوطنية. رواية لا تخون التاريخ ولا تخرج من أحكام الجغرافيا. الوثيقة الرسمية الأكثر أصالة ووضوحاً لبقاء بلاد تمرّ في حال دائمة من الخطر.

* أستاذ جامعي

إذا كان حزب الله يعتبر أنّ التدخّل في هذه المعركة يقوم على مبدأ «استمرار الجغرافيا وتدفق التاريخ» فلأنه يريد أن يكون جزءاً من إرادة الأمّة

“

في الواجهة

باسيل: لن أنتخب فرنجية في أي وقت

اكثر مايقوله اخصام رئيس التيار الوطني الحر عنه، مرة بعد اخرى منذ نهاية ولاية الرئيس ميشال عون واستمرار الشغور الرئاسي، انه اما «يُحسّر نفسه بنفسه»، واما «عدو نفسه»، واما «لا يعرف مصلحته». مايقوله هو عن كل اولئك انهم «فحش سياسي»

باسيل عن التمديد لقائد الجيش: لم أطلب من حزب الله، ولم يعدني بما لم يفعله (هيثم الموسوي)

نقولا ناصيف

داخل التيار الوطني الحر مناقشات بين رأيين لا اجوبة نهائية للمتسائلين عنهما: هل من المصلحة الاستمرار خارج الحكم والسلطة على النحو الذي يتخذه الآن بمقاطعة وزرائه مجلس الوزراء، أم من الأفضل مجاراة الواقع القائم والانضمام الى مقتضيات اللعبة الحالية منذ شغور رئاسة الجمهورية؟

يُطرح الخياران في اكثر من مناسبة داخلية. اخيراً بعد تمديد ولاية قائد الجيش العماد جوزف عون، عُدّ رئيس التيار النائب جبران باسيل الخاسر الوحيد في ما وُصف بأنه تسوية تقاطع المتنافرين والاعداء، حُسب ما حصل ايضاً على انه ائتلاف كل المناوئين لباسيل في ظاهرة استثنائية. في الحصيلة هم خصومه كسبوا جولة بقاء قائد الجيش في منصبه.

المغزى الآخر، متجاوزاً هذه الواقعة، ان مديري الشغور قادرون على الاستمرار الى شعار اخر في ملء الوقت الضائع الى ان يحين اوان انتخاب رئيس للجمهورية، بما يُشعر الداخل والخارج بأن النظام - وان بالحد الادنى - في خير: البرلمان ينعقد، حكومة تصريف الاعمال كذلك. التعيينات تُقارَب بأمزجة. الاستقرار في مأمن دونما الذهاب الى حافة الهاوية في الجنوب. اما المهم الناقص، وهو انتخاب الرئيس، فيقترب تدريجاً من ان يمسي حديثاً ثانوياً غير مستعجل. ما يضيفه باسيل حيال ما يحصل ان «البعض يتعمّد تكريس هذا الواقع للقول انه شغّال وفي الامكان الاستمرار بلا رئيس للجمهورية اياً طال الوقت. الأخطر انه يحظى بغطاء مسيحي من بكركي واحزاب مسيحية لتثبيت الامر المفروض وادارة البلد بحكومة مستقيلة والتغافل عن انتخاب رئيس للجمهورية».

يضيف: «ما يراد ان يقال لي بالممارسة، وانا وحدي اقرع جرس خطورة استمرار الشغور، ان في وسعنا ان نحكم بلا رئيس للجمهورية، فابقَ انت وحدك خارجاً. لا حل لك الا بانتخاب سليمان فرنجية كي تدخل الى الحكم. لا خيار ثالثاً. لن ابقى خارجاً ولن ابقى ساكتاً على ما يجري، ولن اقبل بفرنجية. عُرض عليّ عودة وزراء التيار وحلفائه الى جلسات مجلس الوزراء او وزير الدفاع على الاقل فاحصل على تعيين قائد جديد للجيش، لكنني رفضت كي لا انقض ما بنى عليه موقف التيار منذ الشغور، وهو ان ليس لحكومة مستقيلة تولي صلاحيات رئيس الجمهورية، ولا ادخال اعراف غير مسبوقة على مجلس الوزراء خصوصاً في تواقيع المراسيم».

> وحدهما اللامركزية الادارية والمالية والصندوق الائتماني يجعلانني اقبل بفرنجية او بعون او بسواهما

يقارب باسيل مازق الشغور على انه يدور من حول مشكلة واحدة هي انتخاب رئيس تيار المردة رئيساً للجمهورية. يوجّه بذلك اشارة مباشرة الى الثنائي الشيعي الذي يدعم ترشيح فرنجية دونما ان يغفل ان الفريق الآخر، معارض الثنائي وفرنجية معاً، لا يضيره الاستهمال كي «ينتظر اللحظة التي يعتقد ان تسوية ما ستاتي بفرنجية يقايض بها هؤلاء عندئذ».

يقول بلا افصاح: «يدعونني الى انتخاب فرنجية فأنال كل ما اريد. عرض عليّ الكثير. قيل لي مرة ان الرئاسة بعد ست سنوات تكون لي، وحصة كبيرة في الحكم مرة اخرى. لا يطلبون فرنجية مجاناً ولا معاقبة، بل بحسابات مدروسة. قيل إمش به تكن جلسة الانتخاب في اليوم التالي. هذا غير وارد عندي. اذا كان يحلو للبعض الظن ان انتظاره جوابي سيكون مفيداً فهو على خطأ. لا الآن ولا في ما بعد». التواصل مع حزب الله محدود. متقطع. يصفه باسيل بانه «غير مقطوع لكنه غير حام». بعد التمديد لقائد الجيش لم يُمس اكثر سوءاً من ذي قبل: «في الاصل كان يعرف موقفي. لم اطلب منه، ولم يعدني بما لم يفعله. لا ازعل معه في مسألة جوزف عون. لكنه كذلك في خيار سليمان فرنجية. الحزب يعلم تماماً انني لن اصوّت له. عندما راهنوا في ما مضى على ان الفرنسيين والسعوديين موافقون على فرنجية وسيأتون بالآخرين، لم يتطلب الامر الاتصال بي. عندما فشل المسعى حكوا معي. بعد حرب غزة عادوا الى الكلام عن ان ما سيليها تسوية ياتي انتخاب فرنجية على راسها. لذا يدعونني الى انتخابه. ذلك ما حصل في موضوع التمديد لقائد الجيش. كما التسوية الاقليمية من حول غزة وجوارها اتية قريباً، او اتية بالسهولة المتوقعة ان لم تات اسوأ. وقد لا تاتي بما يراهنون عليه في رئاسة الجمهورية. وقد لا يكون الثنائي الشيعي جاهزاً للقبول بتسوية مكلفة عليهما، خصوصاً اذا كان الثمن المقابل لانتخاب سليمان فرنجية اغلى بكثير من سليمان فرنجية».

يضيف: «كلاهما، سليمان فرنجية وجوزف عون، لن انتخبهما. كلّ لاسباب مبدئية تجعلني اعرف سلفاً كيف يمكن ان يكون عليه عهد اي منهما. ارفضهما، لكن لديّ اسماء عدة لسواهما يمكن الاتفاق عليها. لا ارفض للرفض. عندي بدائل يمكن التحدث فيها. الرهان على انني ساغيّر رأيي في غير محله وسينتظرون وقتاً طويلاً ما خلا حالاً واحدة هي اعطاؤنا اللامركزية الادارية والمالية الموسعة والصندوق الائتماني والاتفاق على برنامج الحكم في العهد الجديد. عندئذ امشي بكليهما. البندان الاولان عندي اكثر اهمية، بما في ذلك من سليمان فرنجية وجوزف عون واي سواهما. لا يعود مهماً انتخاب اي منهما او غيرهما ممن يمكن ان يكون افضل او اسوأ. عندما طلبت اللامركزية الادارية والمالية الموسعة والصندوق الائتماني قيل لي انهم لا يمانعون. لكن دون تنفيذهما صعوبات».

تقرير

ملفّ سلامة «نام» في بيروت و«شغّال» أوروبيًا

تعطيل التحقيق يحرم لبنان من عائدات الأملاك المحجوزة

رلى إبراهيم

نجح الحاكم السابق لمصرف لبنان رياض سلامة في تحييد نفسه وشركائه عن يوميات الحياة اللبنانية، وبات بالكاد يُذكر حتى عند الحديث عن سرقة أموال المودعين. وُضِب تقرير شركة التدقيق الجنائي في أدراج القضاة، وخفّ إلى حدّ الانطفاء وهج التحقيقات في ملف الحاكم السابق وشقيقه رجا سلامة ومساعدته مريان الحويك وكل من يظهره التحقيق متورطاً في سرقة القرن.

لكن، في وقت ينام فيه القضاء اللبناني على حرير ذاكرة اللبنانيين القصيرة، تتواصل التحقيقات الأوروبية في ملفات آل سلامة المتعلقة بتبييض نحو مليار دولار، وخصوصاً بعد الادعاء على رياض سلامة في كل من فرنسا وألمانيا وملاحقته من قبل الأنتربول، وإدراجه ونجله نادي وشقيقه رجا وصديقته أنا كوزاكوفا ومستشارته الحويك على لائحة العقوبات في كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا.

في آخر مستجدات التحقيقات المفتوحة في لوكسمبورغ، التي أصدرت مطلع العام الماضي قرارات بحجز أصول مرتبطة بالتحقيق في حقّ سلامة ونجله وشقيقه وكوزاكوفا، علمت «الأخبار» أن رجا سلامة تراجع عن طلب استئناف الحجز بما خص شركتَي Black River وRiver properties White. وفي اتصال مع «الأخبار»، قال عزيز سليمان، رئيس «جمعيّة ضحايا الممارسات الاحتيالية والجرائم الماليّة في لبنان» (الجمعية التي ادّعت على سلامة وشركائه بالتعاون مع منظمة «شيربا»)، إنه تبلغ أول من أمس خبر تراجع رجا عن التقدم بطلب استئناف لفك الحجز عن أصول الشركتين، «ما يبقيهما تحت قبضة السلطات القضائية في لوكسمبورغ، ولذلك لن يعقد القاضي الجلسة التي كانت مقررة للنظر في الطلب». وعُلم أن من بين أسباب تراجع رجا سلامة عن طلب فك الحجز التكاليف التي يتكبّدها نتيجة ردّ الطلب في كل مرة.

بالتوازي، كانت شركة Fulwood invest sarl (مملوكة من رياض سلامة ويديرها ابنه نادي) قد تقدمت بطلب مماثل لاسترداد الأصول التي حُجز عليها بقرار من قاضية التحقيق مارتين كراوس في 23 آذار 2022. وقد ادّعى مدير الشركة المؤقت المحامي يان بادن أن له الحق في الأصول المسجلة في الحسابات المصرفية المفتوحة لدى BGL BNP PARIBAS SA (IBAN LU97 1966 5176 0030 1000 برصيد دائن قدره 25,341,27 يورو، وIBAN LU12 1971 5176 0030 2000 برصيد دائن قدره 400,523,53 جنيه استرليني، وLU36 0030 1981 5176 4000 برصيد دائن قدره 54,48 دولاراً). لكن القاضي رأى أنه «يبدو من التحقيق الذي تم إجراؤه أن الأصول التي يطلب استردادها قد تشكّل عائدات الجرائم المرتكبة، ما يضعها في خانة المصادرة اللاحقة من قبل النيابة العامة». ولأن استرداد الأصول المصادرة يلحق الضرر الجسيم بحقوق الأطراف المدنية، قررت غرفة المحكمة ردّ طلب الاسترداد»، علماً أن شركة Fulwood هي واحدة من شركات رياض سلامة في لوكسمبورغ وبيديرها ابنه نادي، وقد اشترت الشركة عقاراً في غرب لندن في حزيران 2020 بقيمة 7,8 ملايين دولار، يدرّ إيجاره نحو نصف مليون دولار سنوياً، كما اشترت عقاراً ثانياً في وسط لندن في كانون الأول 2020 بقيمة 6,5 ملايين دولار.

من جهة أخرى، رفضت محكمة لوكسمبورغ أيضاً طلب شركة STOCKWELL INVESTISSEMENT SA فك الحجز عن أصولها عبر المحامي نفسه يان بادن، الذي ادّعى الحق في استرداد الأموال المودعة في الحساب المفتوح لدى مصرف JULIUS BAER EUROPE SA. وبلغت قيمة الموجودات في هذا الحساب حتى تاريخ 24 آذار 2022 نحو 8 ملايين و387 ألف يورو. تجدر الإشارة

> محكمة لوكسمبورغ ترفض طلبات فك الحجز عن أملاك سلامة وكوزاكوفا

الى أن شركة stockwell التي أسّسها سلامة في لوكسمبورغ عام 2015 برأسمال قدره 5 ملايين يورو، ترتبط مباشرة بشركة bet sa المؤسسة في لوكسمبورغ أيضاً، وصاحبة الحق الاقتصادي فيها أنا كوزاكوفا.

الخطير في كل ما يحدث أوروبياً أن التحقيقات تسير بوتيرة سريعة، ما سيقود الى محاكمات سريعة تنتهي باستحواذ هذه الدول على الأموال المختلسة من دون أن يكون للبنان أيّ حصة فيها نتيجة تعليق الملف القضائي وتعطيله. وبالتالي من مصلحة القضاء اللبناني القفز فوق النزاعات والعراقيل لمحاكمة سلامة وشركائه سريعاً. وفي هذا الإطار، علمت «الأخبار» أن النيابة العامة التمييزية تلقّت أخيراً من البنك المركزي قرصاً مدمجاً يتضمّن داتا حول حسابات سلامة ونجله نادي وصديقته كوزاكوفا ومساعدته الحويك بعد تجميد حساباتهم ورفع السرية المصرفية عنها بطلب من رئيس هيئة التحقيق الخاصة، الحاكم بالإنابة، وسيم منصوري، استجابة للعقوبات الأميركية عليهم. وقد حوّلها القاضي غسان عويدات الى قاضي التحقيق الأول في بيروت بلال حلاوي لاتخاذ الإجراءات المناسبة، ما يعني بـ«اللغة اللبنانية» المزيد من المماطلة وإضاعة الوقت... إلا في حال قرر القاضي القيام بواجبه.

(هيثم الموسوي)

مقالة

عجز المؤسسات لا يحول دون دفاع الشعب عن سيادته

في صلاحية إعلان الحرب دستورياً

جهاد إسماعيل *

إثر الاعتداءات الإسرائيلية في الجنوب، وما يترتب عليها من أعمال ميدانية أو عسكرية، يحتدم السجال الدستوري حول صلاحيّة إعلان الحرب في لبنان، بعدما كان التقليد قد استقرّ على إناطة هذه المسألة بمجلس النواب، قبل التعديل الدستوري الصادر عام 1990 الذي أورد «الحرب والسلم» من بين المواضيع الأساسية في الفقرة الأخيرة من المادة 65 من الدستور، من دون أن يحدّد المنهجية الواجب اتباعها بشأن إعلان الحرب أو تنفيذها وقيادتها. ما أخضع هذا الأمر إلى التأويل والاجتهاد، وإن كان من الممكن، برأينا، وضع هذه المسألة الخلافية في سياق دستوريّ معيّن، يتجلّى بالنقاط الآتية:

أولاً: لما كانت التجربة الفرنسيّة، تحديداً تجربة الجمهورية الثالثة، مصدراً لازماً للحياة الدستوريّة في لبنان، فإنّ المادة 9 من القانون الدستوريّ الفرنسي الصادر عام 1875، نصّت على أن «رئيس الجمهورية لا يمكنه إعلان الحرب إلا بعد موافقة البرلمان». وهذا النصّ، كما يظهر جلياً، يميّز بين إعلان الحرب والتصديق عليها. فالأول من صلاحية السلطة التنفيذية، فيما الثاني من صلاحية البرلمان.

ولعلّ إناطة التصديق على قرار الحرب بالبرلمان يعود إلى أن الحرب مسألة مصيرية تتعلّق بحياة الأمة وديمومتها، ومن الطبيعي أن يتولى ممثل الأمة - البرلمان - هذه الصلاحية، على أن تمارس السلطة التنفيذية مهمة إعلانها بمرسوم. ذلك أنّ الدستور يحدّد الخطوط العريضة للسلطات، وتبقى للقوانين حدود تطبيقها وتنظيمها، وعلى ذلك يُعهد إلى قوانين الطوارئ والدفاع في فرنسا - كما لبنان - إيكال إعلان المسائل الإجرائية المختصة بالدفاع والطوارئ والأمن إلى الحكومة، بدليل أن المواد 2 و3 و4 من قانون الدفاع الوطني في لبنان، تُعطي الحكومة صلاحية إعلان وضعية قانونيّة بمرسوم، في كلّ مرّة يتعرّض الوطن إلى خطر داهم ناتج عن حرب خارجية أو ثورة مسلّحة أو عمل ضارّ بسلامة الدولة أو مصالحها. فتارةً تقرّر الحكومة إعلان حالة التأهب الكلي أو الجزئي، وتارةً أخرى تقرّر إعلان حالة الطوارئ وفقاً لمعايير معيّنة لحظها قانون الدفاع الوطني، وإن كان من الواجب، سنداً لأحكام المرسوم الاشتراعي رقم 1967/52 انعقاد البرلمان في مهلة ثمانية أيام للنظر في هذه التدابير. ما يعني أن المشرّع اللبناني، في قانون الدفاع والمرسوم الاشتراعي الرقم 52، سمح للحكومة باتخاذ صلاحية مواجهة الحرب وإعلان الأوضاع المترتبة عنها، وإن لم يشأ، في هذه النصوص، أن يعطيها وصف إعلان الحرب، لكنّها كافية للاستنتاج أنه في مقدور الحكومة إعلان الحرب لاعتبارين:

الأول: منح قانون الدفاع الوطني، وكذلك أحكام المرسوم الاشتراعي الرقم 52، الحكومة، واستطراداً قيادة الجيش، صلاحية اتخاذ جميع الصلاحيات للحدّ من الخطر المشكو منه، أي في كلّ ما تقتضيه الحرب من وسائل وتدابير.

الثاني: إشارة الفقرة الأخيرة من المادة 65 من الدستور إلى صلاحية الحكومة في الموافقة على «الحرب والسلم» من بين المواضيع الأساسية.

وما دام قرار الحرب من المسائل المصيرية على الأمة والكيان، فإن صلاحية التصديق عليه فور تطبيق أحكام المادة 22 من الدستور يعود إلى مجلس الشيوخ لا إلى مجلس النواب، بنصّها: «مع انتخاب أول مجلس نواب على أساس وطني لا طائفي يُستحدث مجلس للشيوخ... تنحصر صلاحياته في القضايا المصيرية».

كما أنّ العلاقات الدولية تُترجم، في معظم الأحيان، عبر المعاهدات الدولية، فعقد السلم بين لبنان ودولة أخرى، والذي يُبرم عادةً بمعاهدة، يبدأ بالمفاوضات - وهو اختصاص عائد إلى الحكومة ورئيس الجمهورية - وينتهي بالتصديق عبر مجلس النواب حينما تمكّنها من ذلك مصلحة البلاد وسلامة الدولة بموجب المادة 52. وقياساً على ذلك، فأيّ تهديد في العلاقات الدولية، وتحديداً العلاقة بين لبنان وسائر الكيانات الأجنبية، يعني أن تهديداً قد وقع على مصلحة وسلامة الدولة، وهو أمرٌ يستدعي نهوض صلاحية مجلس النواب، قبل استحداث مجلس الشيوخ، في التصديق على أيّ خطوة من هذا القبيل عدا عن أن الحرب - من منظار القانوني الدولي - حالة عدائية تحصل ضد سيادة الدولة التي يملكها، في الأساس، البرلمان، بأحد مجلسيه، كونه ممثلاً للشعب ووكيلاً عنه سنداً للفقرة «د» من مقدمة الدستور. يُستشفّ من كلّ ما ذُكر، أن قرار إعلان الحرب من صلاحية الحكومة، والتصديق على هذا القرار من اختصاص مجلس النواب، وتالياً مجلس الشيوخ حصراً فور استحداثه، إذ تجوز، عملاً بالقياس، إثارة اطلاعه أو قبوله على أيّ موضوع يطال مصلحة وسلامة الدولة.

> تفويض مجلس النواب - ممثل الأمة - للحكومات المتعاقبة بالموافقة على حق المقاومة في الدفاع عن لبنان يشكّل عرفاً دستورياً لا لبس فيه

ثانياً: من المقرّر، كما أشرنا، أن قرار الحرب يعود إلى المؤسسات الدستورية التي تمارس، وكالة، مهمة تمثيل الأصيل، وهو الشعب، وبالتالي التعبير عن السيادة، إلا أنه يبقى الأصيل صاحب السيادة وإن جرت ممارستها من قبل السلطات، باعتبار أن الفقرة «د» من مقدمة الدستور قد نصّت على أن «الشعب مصدر السلطات وصاحب السيادة يمارسها عبر المؤسسات الدستورية»، الأمر الذي يفيد أن هناك تمييزاً، وفقاً لمنطوق النص، بين صاحب السيادة (الشعب) ومن يمارسها (المؤسسات الدستوريّة)، ما يعني أن تقاعس أو عجز هذه المؤسسات (الوكيل) في الدفاع عن السيادة لا يمنع الشعب (الأصيل)، وهو صاحب السيادة أصلاً في الدفاع عن سيادته، شريطة أن يحظى هذا الدفاع بشرعية صادرة عن السلطة كركن آخر من أركان الدولة، وانسجاماً مع منطق السلطة المفوّضة والسامية في الدولة الحديثة، حيث تأتي سلطة الدولة فوق سلطة الأفراد والجماعات.

وخير مصداق على هذه الشرعية هو المقاومة في لبنان، وغيره من القرارات التي كرّست حق الشعوب في مقاومة الاحتلال وبالتالي تقرير مصيرها بنفسها من دون قيد، وهذه العمومية أو الإطلاقية الممنوحة للشعوب وليس للدول فقط، تعكس شرعية مواجهة الشعب اللبناني للاعتداءات الإسرائيلية وتمنع المقاومة، استطراداً، الحق في الدفاع عن لبنان واسترجاع أراضيه...

جرّاء ما تقدّم، يتبيّن لنا أن قرار الحرب، في الأصل، يعود إلى المؤسسات الدستورية، لكن امتناع هذه المؤسسات عن مواجهة الحرب الخارجية لا يحجب إمكانية المقاومة في الدفاع عن لبنان عند وقوع أيّ اعتداء على أيّ جزء من الأراضي اللبنانية، كما لا يمنع صدور مرسوم إعلان الحرب للعمل بما أشار إليه قانون الدفاع الوطني وأحكام المرسوم الاشتراعي الرقم 52، احتراماً لمبدأ المشروعية الذي لا يجوز تخطيه إلا تحت وطأة نظرية «العجلة القصوى» أو نظرية «الظروف الاستثنائية»، ولترتيب النتائج القانونية والواقعية الجديدة على الانتظام العام في حياة الدولة وسائر الكيانات المعنوية، وإنهاضاً لمهام القوات المسلّحة التي وُجدت، أساساً، لهذه الظروف وسواها.

* باحث دستوري وأستاذ جامعي في القانون العام

تقرير

«راح» موسم التشتيل... زراعة التبغ أول الخاسرين

آمال خليل

كلما طال أمد العدوان الإسرائيلي على الجنوب يعني أنه «راح» الموسم» بالنسبة إلى أهالي البلدات الحدودية، مع انقضاء موعد قطاف أو بذر زراعات كثيرة كالزيتون والحبوب والغار والأفوكا والقشطة والحمضيات. غير أن الخسارة الأكبر التي تلحق بأهالي معظم البلدات الحدودية هي تلك التي تلحق بزراعة التبغ التي يعتاش

> «الريجي» تزرع التبغ في مشاتل خاصة لتوزيع الشتول على المزارعين فور انتهاء العدوان

منها الآلاف. انقضاء موعد تشتيل التبغ فيما المزارعون النازحون بعيدون عن أراضيهم، لا ينعكس ضرراً اقتصادياً عليهم فقط، وإنما أيضاً نقصاً في إنتاج إدارة حصر التبغ والتنباك («الريجي»).

في خلة المحافر وعريض الهوى والشقة ومرج الرقاق في جبل الباط، تتركز ثروة عيترون الزراعية، حيث البرك الزراعية والمراعي ومزارع المواشي وحقول التبغ وسهول القمح والترمس والخضر. ومنذ الأيام الأولى للعدوان، تعمد العدو قصف هذه المناطق بالقذائف الفوسفورية.

(الأخبار)

في صريفا، على التلة المقابلة، ينتظر يوسف خريزات (74 سنة) أي هدنة ليعود إلى بلدته عيترون. بعد التحرير عام 2000، ترك صريفا التي أقام فيها إبان احتلال مسقط رأسه وعاد إلى عيترون. لم يخطر في باله أنه سينزح مجدداً بعد 17 عاماً من الهدوء الذي أعقب عدوان تموز 2006. «منذ نشأتي، تهجرنا مراراً بسبب اعتداءات العصابات الصهيونية. لكن هذه المرة هي الأصعب. كبرنا ولم نعد نحتمل التهجير وظروفنا المادية لا تسمح بأن نترك منزلنا طويلاً». يقيم خريزات في منزل نجله وليد (47 عاماً) الذي استقرّ في صريفا. يربط الأخير سنوات عمره بالاعتداءات والاجتياحات الإسرائيلية، «في اجتياح 1978 نزحنا إلى الوردانية، وفي اجتياح 1982 تنقّلنا بين شقراً والصوانة وخربة سلم». رغم استقراره في صريفا بعد التحرير، استثمر وليد خريزات في الزراعة وفي ضمان أراض في سهل المحافر: «كنت أزرع الترمس. ترمس عيترون من أجود محاصيل المنطقة. وهذا الموسم كنت أنوي أن أزرع القمح».

«نصيبنا في عيترون أننا على حدود فلسطين» المحتلة، تقول ثريا ضاوي (90 عاماً). «كنت في العاشرة، عندما كان والدي يحملني مع إخوتي الأطفال ويهرب بنا إلى عيناتا لنختبئ في كروم العنب ليلاً قبل أن يعيدنا إلى عيترون في الصباح. عصابات اليهود بدأت اعتداءاتها على البلدة منذ العشرينيات. واستولت على بلدتي المالكية وقدس وهجروا أهاليهما الذين استقر بعضهم في عيترون وآخرون قرب صريفا (تعرف بالنفاخية اليوم) فيما تشتتت البقية في مناطق مختلفة». لاحقاً، صار الهروب أطول. «تهجرنا في الستينيات إلى كونين. كنا نبذر التبغ في سهل عيترون، وعندما يشتل نقلعه ونحمله إلى كونين لنزرعه حتى القطاف».

في محاولة لإنقاذ الموسم من الضياع، بادرت «الريجي» إلى بذر التبغ في مشاتل تابعة لها، لتوزيع شتولها على المزارعين فور عودتهم إلى بلداتهم بعد انتهاء العدوان، ما يوفّر عليهم مرحلة التشتيل. وأوضح رئيس إدارة حصر التبغ والتنباك ناصيف سقلاوي أن «موسم تشتيل التبغ يكون بين كانون الأول وشباط، لذلك زرعت أراضي الريجي تملكها وأخرى استأجرتها في السعديات والجنوب لتشتيل التبغ بدلاً عن المزارعين، وعندما يعودون إلى أراضيهم سنوزعها عليهم مجاناً».

وقال إن «نحو 5300 مزارع من أبناء البلدات الحدودية التي تنتج بين 45 و50 في المئة من إنتاج التبغ السنوي، سيستفيدون من هذه المبادرة الاستباقية». ولفت إلى اتفاق مع بلدية رميش لزيادة إنتاج موسمها الحالي من التبغ من أجل تعويض النقص المتوقع في الإنتاج الذي ستتسلمه «الريجي» في بداية الخريف المقبل، مشيراً إلى أن رميش «آمنة نسبياً ولا يزال 40 في المئة من مزارعيها فيها، ويقع سهلها بعيداً عن الحدود».

لكن ماذا سيكون مصير الشتول في حال طال العدوان إلى ما بعد شهرين؟ مدير الزراعة والمشترى في الريجي جعفر الحسيني أكد أن «الشتول لن تذهب هدراً، وفي حال استمر العدوان، يمكن أن نحوّلها إلى مزارعين آخرين في بلدات جنوبية آمنة وإلى مزارعي البقاع».

تقرير

«انتفاضة» على «مدارس المصطفى» بعد زيادة 200 دولار على الأقساط

زينب حمود

لم يهضم أولياء أمور الطلاب في «مدارس المصطفى» الستّ قرار جمعية التعليم الديني (التي تتبع لها المدارس)، مطلع العام الجديد، زيادة 200 دولار على القسط السنوي لكل تلميذ. القرار أثار توتراً بين مديري المدارس والأهالي الذين أطلقوا حملة احتجاج على مواقع التواصل الاجتماعي، وأنشؤوا مجموعة على «واتساب» ضمّت أكثر من ألف «معارض»، ولوّحوا بالقيام بزيارات إلى كتل نيابية وإلى مكتب نائب الأمين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم.

وتقول مصادر هؤلاء إنهم فوجئوا بحجم الزيادة التي تصل إلى 25% من قيمة القسط (يستوفى بالليرة والدولار)، وبتوقيتها في ظل الحرب الدائرة جنوباً والظروف الاقتصادية الصعبة على الأهالي كما على الأساتذة. ولفتوا إلى أن ما من مستجدّ يستدعي الزيادة، خصوصاً أن الجمعية حدّدت الأقساط مع بداية العام الدراسي، وأنّ سعر صرف الدولار يشهد استقراراً منذ أشهر. واستغربوا قيمة الزيادة إذا كانت ستذهب حصراً إلى الأساتذة والموظفين «لأن عدد هؤلاء لا يتعدّى الـ 1500». ورغم ارتفاع أصوات المعارضين الذين يشكلون، بحسب مصادر متابعة، «أكثرية»، نقل أحد الأهالي عن مدير الجمعية محمد سماحة تأكيده أنّ «المؤسسة لا تعود عن قرار اتخذته بعناية. ومن لا يستطيع الدفع سندرس ملفه ونقوم بما نراه مناسباً، ولن نتخلى عن أي طالب لا يسدّد الزيادة، ولن نصل إلى خيار الطرد».

الجمعية التي فوجئت بعدد المعارضين وطريقة الاحتجاج، أصدرت بياناً توضيحياً، أمس، لم يخلُ من العتب على «من أساء إليها في وسائل التواصل الاجتماعي لأنهم وجّهوا السهام في غير محلها». وأوضحت أنها «فتحت باب التسجيل لهذا العام في نيسان 2023، وحدّدت الأقساط المدرسية بحدها الأدنى آنذاك. ومع استقرار سعر صرف الدولار مؤخراً، صارت الصورة واضحة بشأن الأقساط المدرسية المناسبة التي لا يمكن إبقاؤها على ما هي عليه». ولفت البيان إلى أن الجمعية «وضعت الأهالي في جوّ الزيادة منذ التسجيل، تحديداً في البند الثاني من طلب التسجيل الذي ينصّ على الالتزام بدفع الزيادات على القسط بالليرة أو بالدولار في حال إقرارها خلال العام الدراسي كمصالحة مبرئة لذمّة الطرفين». وأكّدت الجمعية أنّ «الزيادة أقلّ من المطلوب وستذهب حصراً لتحسين رواتب الأساتذة»، وربطتها بـ «قرار الحكومة منح الحوافز لمعلمي المدارس الرسمية في تشرين الثاني 2023 ومناقشة إعطاء موظفي القطاع العام بدل إنتاجية بالدولار». غير أنّ التبريرات لم تقنع كثيرين من الأهالي لأنّ «الحكومة لم ترفع أجور القطاع العام بعد، والأساتذة أبرموا عقود عمل سنوية بعد الاتفاق على الراتب»، مطالبين بـ «تمرير هذا العام الدراسي، على أن ينسحب من لا يعجبه القسط العام المقبل».

في المحصّلة، لا يزال التوتر قائماً بين الأهالي وإدارات مدارس المصطفى، وسط غياب تام للجان الأهل التي لم يصدر عنها موقف واحد. علماً أن إدارة إحدى المدارس الستّ رفضت عقد اجتماع مع مجموعة من الأهالي بناءً على طلبهم لأنهم «ليسوا كياناً رسمياً مسؤولاً عن الاعتراض». فيما رفض سماحة، في اتّصال مع «الأخبار»، التعليق على قرار الزيادة «لأننا لا نريد الحديث مع الإعلام».

حق الرد

تعليقاً على المقال الوارد في جريدتكم بعنوان «مخزومي يلعب بدار الفتوى بعد أن غاب الحريري»، يهمني أن أوضح: أولاً: بعد ولايتين كاملتين في مجلس عمدة «مؤسسات محمّد خالد الاجتماعية» أجرى سماحة مفتي الجمهوريّة اللبنانية تعديلاً في هذا المجلس شمل عدّة أشخاص دون شخص محدّد، خلافاً لما في جاء في المقال. وقد شكرت في حينه سماحة مفتي الجمهورية على الثقة للمراحل الكثيرة القادمة.

ثانياً: العلاقة مع السيّد أحمد هاشميّة هي وسام أتّعبه بقوّة وقد سخّرت هذه العلاقة لدعم صاحب الدار سماحة المفتي وأهلنا وناسنا في كل بيروت دون استثناء.

المحامي حسن حلواني

تحيّة لجنوب أفريقيا من بيروت

تحت عنوان «من جنوب أفريقيا إلى فلسطين: سنتحرّر معاً»، نُفّذت وقفة تضامنية أمس أمام مقرّ قنصلية جنوب أفريقيا في شارع فريحة في بيروت، بدعوة من 35 اتحادا شبابيا ومنظمة مدنية ونقابة وجمعية، تأييدا للدعوى التي رفعتها جنوب أفريقيا ضد إسرائيل أمام محكمة العدل الدولية بتهمة ارتكاب إبادة جماعيّة بحق المدنيين الفلسطينيّين في قطاع غزّة. ورفع المعتصمون أعلام جنوب أفريقيا وفلسطين، وردّدوا شعارات مؤيّدة للمقاومة ضد العدو الصهيوني. وشدّد الداعون على ضرورة توسيع الحراك الشعبي في لبنان والمنطقة والعالم للضغط على حلفاء إسرائيل الذين يمارسون ضغوطا على قضاة المحكمة، ولا يمارسون أي ضغط على الكيان الصهيوني لوقف حرب الإبادة.

(تصوير مروان بو حيدر)

إعلانات رسمية

إعلان

طلب المُستدعي جوزف الياس الحلو إثبات بيانات والده في العقار 1434 منطقة بنواتي العقارية.

القاضي العقاري

محمد الحاج علي

وفيات

بسم الله الرحمن الرحيم

وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون

صدق الله العظيم

بقلوب يملؤها الحزن ننعى إليكم فقيدنا الغالي المغفور له بإذن الله

طلال عبد الهادي الشلبي

(الجلبي)

زوجته: مها كاظم الخليل

أولاده: ريم أولادها جاد، هادي ونور

باري كوشان أولادها تيودور، اريستيد، ابيوليت وتلما بشارابنته كرما

أشقاؤه: عائلة المرحوم رشدي المرحوم الدكتور حسن

عائلة المرحوم جواد وزوجته ليلى الأزري

عائلة المرحوم الدكتور احمد وزوجته ليلى عسيران

عائلة حازم وزوجته ليلى بيضون

شقيقاته: ثمينة ارملة المرحوم الدكتور صالح البصام وعائلتها

المرحومة رئيفة زوجة المرحوم الدكتور عبد الأمير العلاوي وعائلتها

المرحومة نجلا زوجة المرحوم عبد اللطيف اغا جعفر وعائلتها

يصلى على جثمان الفقيد الطاهر ويوارى الثرى في مقام السيدة زينب، دمشق

تقبل التعازي يومي الإثنين 22 والثلاثاء 23 كانون الثاني 2024 في فندق كمبنسكي، سمرلاند، الجناح، بيروت

من الساعة الثالثة حتى السابعة مساء

المرحوم بقضاء الله وقدره

ال الشلبي، الخليل، خليل، كوشان، البصام، علاوي، آغا جعفر، الأزري، عسيران، بيضون وحيدر

استراحة

إعداد **نعوم مسعود**

كلمات متقاطعة 4505

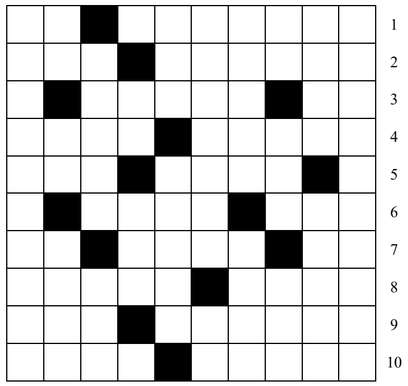

أفقيا

1- من أودية لبنان – شهر ميلادي – 2- إقليم في السودان – نضارة وحسن – 3- بسط – تدلّه على الطريق – 4- ساحات خصبة في الصحاري – ماركة سيارات – 5- جهنم – مدينة في الفجيرة – 6- ضد أول – أثر التراب والرماد – 7- حرف نصب – أحرف متشابهة – قلب – 8- ورق يجفف الحبر – حيوان بين الكلب والسنّور قصير القوائم أغبر اللون يُعرف أيضاً باسم الغرير – 9- لامعات – نشحذ السكين – 10- من الأمراض – من أيام الأسبوع

عمودياً

1- مارشال بريطاني احتلّ فلسطين عام 1917 – 2- ماركة سيارات – نبات معروف في لبنان يُستعمل للزينة – 3- سحب – حصاة – شُهاد – 4- إقليد – مغارة في لبنان يتدفقّ منها نهر ابراهيم – 5- رئيس نيكاراغوا السابق – حرف نصب – 6- مدينة أردنية – مُفاجِىء – 7- آلة موسيقية – نادر بالأجنبية – 8- قليلة – من الحيوانات – 9- للتاوه – والد – راقصة وممثلة مصرية – 10- عاصمة دولة هايتي

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- شذى حسون – ما – 2- بل – الليمون – 3- ليسوتو – برا – 4- ليري – مكوك – 5- أه – كارنو – 6- النمر – ين – 7- ريا – مريب – 8- نب – وز – البا – 9- ايجه – حنان – 10- ابنوب – لكش

عمودياً

1- شبل – فارنا – 2- ذليل – ليبيا – 3- سيانا – جب – 4- حاورهم – وهن – 5- سلتي – رمز – 6- ولو – حب – 7- ني – ماريان – 8- مُبكر – بلال – 9- موروني – بنك – 10- أناكوندا

sudoku 4505

4	9		1				2	7
1		3		6		5		8
	6		9				4	
		8	3			7		
	7		5		8		6	
9				1				2
5	8				9		3	1
7		6				9		5

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4504

2	4	7	8	6	1	3	9	5
5	8	3	9	2	7	4	1	6
9	1	6	3	5	4	8	7	2
8	2	1	6	7	5	9	4	3
6	3	9	2	4	8	7	5	1
4	7	5	1	9	3	2	6	8
3	6	4	7	1	2	5	8	9
7	9	8	5	3	6	1	2	4
1	5	2	4	8	9	6	3	7

مشاهير 4506

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

كيميائي ألماني (1860- 1917). نال جائزة نوبل في الكيمياء عام 1907

9+3+1+5 = صوت البقر ■ 11+7+4+10 = قائد السفينة ■ 2+8+6 = حشرات القرّ

حل الشبكة الماضية: **جعفر العسكري**

الأخبار
al-akhbar
السبت 20 كانون الثاني 2024 العدد 5112

هوامش على دفتر الطوفان

حملة المقاطعة: Bravo سامي... أدّيتَ الدور بأمانة!

بعدما حلّ رئيس حزب «الكتائب اللبنانية» سامي الجميّل، ضيفاً على حلقة حوارية على محطّة BFMTV الفرنسيّة في السّادس من كانون الثاني (يناير) 2024 إلى جانب ضيفيَن آخرَين هما: مستشار المحطّة للشؤون الدفاعية Jérôme Pellistrandi ومستشارتها للشؤون الإسرائيلية الصحافيّة الإسرائيليّة Tamar Sebok (مراسلة صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية في فرنسا)، أصدرت «حملة مقاطعة داعمي «إسرائيل» في لبنان» بياناً سجّلت فيه موقفها من المشاركة ومن مضمون كلام النائب اللبناني. تساءلت الحملة «كيف يعقل أنّ نائباً لبنانياً، من أهمّ وظائِفه التشريع، مجازاً في الحقوق ويحملُ شهادة عليا في القانون الدستوري، أن يخالفَ القانونَ اللبناني بهذه الصّفاقَة؟». وتابعت: «نضع هذا برسم الدولة اللبنانية بأجهزتِها المعنية، وقضائِها، وسياسيّيها على اختلاف انتماءاتهم، كي يصار على الأقل إلى اتخاذ الحد الأدنى من الإجراءات لإيقاف هذه المهازل».

وفيما أشارت الحملة إلى أنّ BFMTV تابعة لـ Altice Media المملوكة للملياردير الإسرائيلي ـ الفرنسيّ باتريك دراحي الذي تعود أصوله إلى المغرب والمستثمر في الكيان الصهيوني والداعم لجيشه، رأت أنّه ليس غريباً أن تنحاز المحطة للرواية الإسرائيليّة وقوات الاحتلال «إلى الحد الذي دفعَ بـ «جمعية الصحافيين في فرنسا» (SDJ) إلى توجيه تنبيه إليها بسبب سياستها التحريريّة وانحيازها في تغطية أحداث غزّة الأخيرة»، مشددةً في الوقت نفسه على أنّ «المُدانُ أن يقبل أصلاً نائب ورئيس حزب لبناني، أن يحلّ ضيفاً عليها، ويزايدَ على خطّها التحريري المنحاز».

وورد في النصّ: «النائب سامي الجميّل قال كلَّ ما تتمنّى المحطة سماعه من لبنانيّ، فبدا كأنّه زميل للصحافية الإسرائيليّة في «يديعوت أحرونوت»، رغم أنّ كثيراً من الصحافيين الإسرائيليين كانوا ليكونوا أقلّ انحيازاً... قدّم الجميّل نفسه أوّلاً وأخيراً خصماً لدوداً لـ «حزب الله»، لا يرى فيه ذرّة من اللبنانيّة، حتى في الظروف الميدانيّة الراهِنة، متبنّياً كلّ السردية الغربية عن تبعيّة الحزب لإيران وأخذه لبنان واللبنانيين رهائن، من دون أن يجرؤ على إدانة الكيان الإسرائيلي أو الحكومة المتطرفة، لا في الاعتداءات على لبنان ولا على المجازر في غزّة».

وحين أراد أن يظهر بمظهر الحريص على مصلحة لبنان، طالب بأن «لا يكون ثمن السلام وأمن الكيان الإسرائيلي ترك لبنان فريسة لحزب الله»، من دون «أن ينسى أن يكون «موضوعياً»، على طريقة كثير من المنافقين في الغرب، بإبداء الاستياء من الجرائم التي يرتكبها الطرفان». واستطردت الحملة: «حين تحدّث عن السّلام، زعم بأنّ لا مفاوضين في الجانب الفلسطيني، كأنّ الجانب الإسرائيلي يلهث وراء السلام. وحسناً فعل الجميّل بعدم مدح انفتاح الحكومة الإسرائيليّة وحمائمَ السّلام فيها، مثل نتنياهو، وبن غفير، وسموتريتش. وبالطبع لم ينسَ التذكير بالقيم الفرنسيّة التي تربّى عليها في المدارس الفرنسية في لبنان». واختُتم البيان بعبارة: «Bravo سامي، أدّيت الدور بأمانة».

الرعب: المرعِب وتمظهراته

بول مخلوف

ما لبثت الأيام الأولى من العام الجديد أن بدأت حتى كشف لنا الحاضرُ عن رُعبٍ كان مستتراً يجري في الخفاء. لم نكن بحاجة إلى حدثٍ دميم أو خبرٍ مذعِرٍ حتى ندرك أنّ يوميات القرن الحادي والعشرين مجبولةٌ بالفظاعة، وأنّ رغبةً عارمة في التوحّش تُحرّك أحواله، فهذه دروس استقيناها ولا نزال نستقيها من الحروب. أخبار القنّاصين الذين ينتظرون خروج الأطفال الفلسطينيّين الباحثين عن رغيف خبزٍ فيفجّرون رؤوسهم مثلاً، أو قصص التجويع والحصار والإماتة، هذا الفضاء المُرعب كفيلٌ بسحب الوسادة من تحت الرأس وجعل الأرق يلاحق البشرية على مدى عقود.

ربّما يُعدّ الجحيم كصورة تجريدية عن المكان المرعب كأوّل تفريغ للرعب الذي يكتنف الإنسان. ليس العذاب، والنار، والشوك، والحرائق، وإبليس وغيرها إلّا عناصر ترسم ملامح الرعب وتبيّن ما هو مرعب. مع الوقت سيخرج الجحيم عن طوره الرمزي ويتجسّد في غرفٍ تفاوت حجمها، منها الضيّقة، كغرف السُّم ومعتقلات التعذيب، ومنها الرحبة والواسعة، مثل أوطانٍ أذابتها نيران القنابل حتى غرقت في الهشيم. مهما يكن، يبقى أنّ الرعب هو الظل الذي لا نستطيع التخلّص من ملاحقته لنا، وهو قديم قِدم الإنسان. عبر النقوش المحفورة على جدران الكهوف نرى رموزاً وتمثيلات دالّة على الرعب الذي خيّم على القابعين داخلها طويلاً. في روايات الأوائل أيضاً، يخرج الرعب عندما يستفيق الجنّ ويتمظهر المرعب في أوامر الجنّ وفي أخباره. نقرأ عن الرعب في حكايات المنازل المسكونة، في وصفات تحضير الأرواح أو طردها، وفي الأيام الأولى من هذا العام التمسناه في رواياتٍ مرعبة، تعود إلى اعترافات ناجيات من جزيرة ليتل سانت جيمس لصاحبها جيفري إبستين. والجزيرة، بما أنها جزيرة، بدت جحيماً واسعاً ورحباً وفظيعاً.

مرة أخرى يتفوّق الواقعي على الخيالي، ينتصر المُرعِب بما هو تمظهرٌ للرعب على حقيقة الرعب نفسه الذي نعلم أنّه موجودٌ ومنتشرٌ، وقد يكون مرئياً وخفياً. في الأيام الأولى من هذا العام، سُرّبت بضع وثائق قانونية تخصّ محاكمة جيفري إبستين، واتضح لنا أنّ لا دعابات على ظهر أوراق الروزنامة بل حكايات تراجيدية دامية. قصة واقعية قصيرة بطلها العالم الفيزيائي ستيفن هوكينغز، بدت أكثر رعباً من قصة فريدريك براون «الطرقة» التي تُصنّف على أنها أقصر قصة رعب في العالم: «آخر شخص في العالم جلس وحيداً في الغرفة، فسمع صوت طرق على الباب». ستيفن هوكينغز الذي كان يتعمّد الذهاب إلى ليتل سانت جايمس ليستطيع مشاهدة قزمات قاصرات عاريات يحلّلن معادلات رياضية معقّدة على سبورة عالية. هذه واحدة من قصص عدة لا يختلف بعضها عن بعض كثيراً، باستثناء حجمها ربما، فبالتأكيد في جعبة الرئيس الأميركي السابق بيل كلينتون الذي كان زائراً دائماً لجزيرة جيفري إبيستين قصصٌ مرعبة طويلة أكثر.

والبليونير الأميركي جيفري إبستين صاحب جزيرة ليتل سانت جيمس هو رجل أعمال أميركي وعمل قوّاداً في خدمة النخب الفنّية والسياسية والعلمية. انتحر إبستين في زنزانته عام 2019، وهي حادثة شائعة أَلِفناها وتعوّدنا عليها، تتكرر كلما هدّد الأشرارُ النافذين بفضح المتورطين معهم، أو كلما وصلت سيرتهم إلى فصلها الأخير. عندها يحضر القتل متنكّراً، تُطمس الأدلة ويكون الانتحار ذريعة الموت ويُغلق الملف، وكأنّ المراد في هذا تحميل المقتول، لوحده، مسؤولية حاضره وتاريخه، بالتالي، يغدو موته بمنزلة الخاتمة لفصول ماجنة خاضها منفرداً من دون أن يشاركه فيها أحدٌ، ولك من قراره الحر الذي قاده لنحر نفسه دليلٌ. وقد استطاع إبستين منذ مطلع الألفية الثانية أن يخلق في «العالم الجديد الشجاع» جحيماً مموّهاً ظاهرياً، إذ عرّف جحيمه على أنه جزيرة؛ ذلك حتى ينعم مع أصدقائه، وزملائه، وزبائنه في خرق المحظور وفي انتهاكه.

جزيرة إبستين التي حكمتها عقول وخيالات سايكوباثية كانت بؤرة مرعبة قطنتها وحوشٌ ارتكبت فيها ممارسات مريعة أقرب ما تكون إلى تدنيس العرق البشري. الجزيرة، مع إبستين، ليست مجرد جزيرة. نحن لسنا أمام مساحةٍ نقيّة ترمز إلى النقاهة والاستجمام، كما أنها ليست موطناً لمقطوعي السبل مثلاً، كما هو الأمر في رواية روبنسون كروزو. ليتل سانت جايمس أو جزيرة إبستين، التي تعرّف أيضاً بجزيرة البيدوفيليا، هي تلك الفسحة الشاسعة التي تُجيز إطلاقَ العنان للتهويمات الفاشية لمن يُدير العالم وشؤونه، هي ذاك المكان الذي يفسح المجال أمام الوعي الموبوء ليداعب أمراضه. نحن إذاً أمام جزيرة فاسدة، ستحيلنا بدورها إلى الديستوبيا باعتبارها المدينة الفاسدة. على أنّ الجزيرة هذه، بمجرد أن نالت تسميتها، «جزيرة البيدوفيليا»، انكشفت للمخبوء وبانت أسرار الكواليس. لكن وجود تلك الجزيرة أيضاً يحثّنا على التفكير في جزرٍ أخرى غير مُكتشفة بعد، أو جزر نعرف عنها، ونتناقل أخبارها شفهياً بشيء أشبه ما يكون بالنميمة، خوفاً من مصير مرعبٍ يلقاه القائل إذا ما نقل رعبَها، لما تحمله من رعبٍ. نتحدّث عن أنظمة تضع أجهزة تنصّت داخل المراحيض، وأعيُن تراقب الشوارع، وجدران تسمع. نتحدث عن مدنٍ لم يعد حاضرها، المرعب والفظيع، آهِلاً للعيش، وعن سِيَرٍ مرعِبة لم تكن قبل هذا العدد مدوّنةً بعد، لذلك سيكون هذا العدد والعدد الذي يليه مخصّصان في هذا الشأن.

لقراءة ملحق «إنما»

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين

مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 20 كانون الثاني 2024
العدد 5112 السنة الثامنة عشرة
Samedi 20 Janvier 2024 nº 5112 18ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

أيّها العالم
حين تنتهي الحرب وتكون لنا فرصة لقاء
اسمح لي بالصراخ في وجهك
كلما أدنيتُ يدك تربتُ على كتفي
اسمح لي بالبكاء رُعباً منك
كلّما حاولتَ أن تبكي من أجلي

* من قصيدة «أَجُرُّها معي أينما حللت» ليحيى عاشور. [ص 4-5]

خالد حوراني ــ «قيلولة» (اكريليك على كانفاس ــ 77× 96 سنتم ــ 2022)

طوفان الأقصى

بين التقدّم الحضاري والعودة إلى النازية

«ملاك التاريخ» يحوم فوق ألمانيا

هنا محاولة لقراءة موقف ألمانيا السياسي والقانوني والثقافي والإنساني من الحرب على غزة، هي التي لم تتخلّص بعد من أثر النازية وشبح الفوهرر الذي تدفع ثمنه ضريبةً سنوية لكيان الاحتلال منذ اتفاقية لوكسمبورغ (1952). كما نضيء على ردة فعل الفنانين والمثقفين الذين شكّلوا مبادرة «سترايك جيرماني» لمقاطعة المؤسّسات الثقافية الداعمة للاحتلال التي تقمع حرية التعبير وتراقب سياسات الفنانين وتشترط دعم الكيان الصهيوني في تمويلها للفنّ

بول كلي ـ Angelus novus (حبر صيني وزيت وورق وأكواريك ـ 24,2 × 31,8 سنتم ـ 1920)

تهاني نصّار

في عام 1940، كتب الفيلسوف الألماني فالتر بنيامين (1892-1940) مؤلّفه الأخير «في مفهوم التاريخ» الذي يُعرف أكاديمياً بِـ «أطروحات في فلسفة التاريخ». بعدها، انتحر بجرعة زائدة من المورفين. قبل أن يُنهي حياته في شقته في باريس، أودع أوراقه ونصوصه لدى أمين المكتبة الوطنية الفيلسوف الفرنسي جورج باتاي؛ حالما أيقن أنه عالقٌ لا محالة في أيدي النازيين الذين زحفوا عسكرياً إلى باريس. حاول بنيامين أن يهرب مع مجموعة من اللاجئين عبر الحدود الإسبانية آملاً أن يصل إلى ملاذٍ آمن في أميركا حيث زملاؤه مؤسّسو «مدرسة فرانكفورت» الفكرية، لكن الحكومة الإسبانية كانت قد ألغت بشكل مفاجئ كل تأشيرات العبور إلى العاصمةً البرتغالية لشبونة، فانهار أمله الأخير بالنجاة من جنود الرايخ الثالث. ربما كان الناقد الثقافي قد شعر بقرب موعد رحيله عن الحياة، فقد كان في المرحلة الأخيرة من حياته مأخوذاً بفكرة الماضي وفلسفة التاريخ ودور المؤرّخ الحقيقي في مواجهة سرديات البورجوازية المنتصرة (الطبقة/ السلطة المنتصرة). تأثّر بنيامين بلوحة «الملاك الجديد» Angelus Novus للرسام الألماني بول كْلِي، وخصّص لها أطروحته التاسعة مطلقاً على هذا الملاك لقب «ملاك التاريخ» واصفاً إيّاه بأنّه يقف بعينَين مفتوحتين جاحظتين، فاغراً فاهه وفارداً جناحيه، في وجه العاصفة التي تدفع بجسده نحو المستقبل، بينما هو يدير وجهه نحو الماضي وعيناه مشدوهتان. يشرح المنظّر وحارس جماليات الفن أنّ «ملاك التاريخ» لا يرى الماضي كما نتصوّره نحن البشر سلسلةً من الأحداث المتتالية، بل يراه «كارثةً واحدةً تستمر في تكديس الحطام وقذفه أمام قدميه. يرغب الملاك في البقاء، وإيقاظ الموتى، وإصلاح ما حُطّم. لكن عاصفة تهب من الجنة. لقد علقت في جناحيه بعنف، إلى درجة أن الملاك لم يعد يستطيع أن يغلقهما. تدفعه العاصفة بشكل لا يقاوم إلى المستقبل الذي يدير له ظهره، بينما تنمو كومة الحطام أمامه نحو السماء. هذه العاصفة هي ما نسميه التقدّم».

«لا توجد وثيقة حضارية ليست في الوقت نفسه وثيقةً همجيّة. ومثلما أنّ هذه الوثيقة غير خالية من الهمجية، فإن الأخيرة تُلطّخ أيضاً الطريقة التي نُقلت بها (الوثيقة الحضارية)». كتب بنيامين في الأطروحة السابعة متحدّثاً عن انتصار الطبقة الحاكمة وتوثيقها للتاريخ والماضي حسب سرديّتها التي تمجّد صورتها، لكنّ جلّ ما تصل إليه هذه السلطة الجديدة هو نتاج لهمجية سابقة لا يمكن محو آثارها. في هذه المقالة محاولة لقراءة موقف ألمانيا السياسي والقانوني والثقافي والإنساني من الحرب على غزة الداعم للإبادة الجديدة التي يقوم بها الاحتلال الصهيوني، وهي لم تتخلّص بعد من أثر النازية وشبح الفوهرر الذي تدفع ثمنه ضريبةً سنوية لكيان الاحتلال منذ اتفاقية لوكسمبورغ (1952). كما تتناول المقالة ردة فعل الفنانين والمثقفين الذين شكّلوا مبادرة «سترايك جيرماني» لمقاطعة المؤسّسات الثقافية الداعمة للاحتلال التي تقمع حرية التعبير وتراقب سياسات الفنانين وتشترط بتمويلها للفن دعم الكيان الصهيوني.

منذ السابع من تشرين الأول (أكتوبر) 2023، وفور تنفيذ المقاومة الفلسطينية عملية «طوفان الأقصى» التي جاءت كالصاعقة على كيان الاحتلال، فأفقدته توازنه العسكري والاستخباراتي والسياسي، سارعت الدول الغربية للتعبير عن تعاطفها مع الصهاينة وقدِم رؤساؤها من خلف البحار إلى الأرض المحتلة في استعراضٍ استعماري بحت. وقفوا إلى جانبٍ رئيس حكومة العدو بنيامين نتنياهو وأعلنوا مواقفهم المؤيدة للصهيونية والداعمة لاستمرار الاحتلال على أرض فلسطين، وأغدقوه بتشريعهم للعدوان على غزة من دون شروط، مؤكدين كما جاء متكرّراً على لسان الرئيس الأميركي جو بايدن بأنّ «إسرائيل ستدافع عن نفسها وفقاً للقانون الدولي». بكل وقاحة، تجاهل كبار سياسيّي أوروبا والولايات المتحدة الأميركية أصل المعركة وتاريخها الذي يمتد إلى أواخر القرن التاسع عشر. تناسى جميعهم أنّ الصهاينة احتلوا فلسطين عبر ارتكاب المجازر والترهيب والتنكيل بالسكان الأصليين، والتطهير العرقي، وطرد العرب من بيوتهم، وجرف قراهم، وبناء المستوطنات على أنقاض الحياة الأولى. اللافت من بين تلك الدول هو الموقف السياسي الألماني الذي لم يتعافَ إلى اليوم من أثر الإبادة ليس فقط بحق اليهود في أوروبا، بل أيضاً بحقّ كل من كان مختلفاً عن العرق الآري وأصحاب الإعاقات الجسدية وكل من كان يعادي الرايخ أو ينتقد سياسات الحكم حينها. تُجدّد ألمانيا اعترافها المستمر بهذه الإبادة، وتعتذر عند كل فرصة مناسبة عن تلك الجريمة كأنّ تاريخها قبل هتلر كان أبيض ناصعاً خالياً من أي جرائم مماثلة.

في عام 1948 (عام النكبة واحتلال فلسطين وإعلان قيام دولة الاستيطان الصهيونية)، وقّعت 150 دولة في العالم على اتفاقية منع الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها، وكان من بينها الاحتلال الإسرائيلي وجنوب أفريقيا وألمانيا. لكن دور الاتفاقية لا يقتصر فقط على تجريم الإبادة الجماعية ومنع ارتكابها، بل إنها تُلزم الدول المشاركة على رفض أي إبادة وحظرها. سمحَت هذه الاتفاقية لجنوب أفريقيا برفع دعوى قضائية في محكمة العدل الدولية في 29 كانون الأول (ديسمبر) 2023 ضد دولة الاحتلال بتهمة انتهاك التزامها بالاتفاقية، وارتكابها الإبادة الجماعية المتعمّدة في حق الفلسطينيين في غزة منذ السابع من أكتوبر 2023. وحين أتى دفاع الاحتلال عن نفسه ضعيفاً جداً وغير مقنع وظهر فيه تكرار الأكاذيب الدعائية الصهيونية (قطع رؤوس أطفال إسرائيليين) والتضليل (عرض صورة للأسرى الإسرائيليين لدى المقاومة الفلسطينية جاء فيها تكرار لصور الأشخاص حتى يبدو العدد كبيراً أمام المحكمة ويؤثر عاطفياً لمصلحة موقف الاحتلال)، فاجأت ألمانيا العالم بموقفها. إذ أعلنت أنّها ستنضم إلى المحاكمة كطرفٍ ثالث بموجب المادة 63 من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية، لتقوم «بمساعدة المحكمة بتفسير المعاهدة» وفقاً لموقع قناة DW الألمانية. وكانت الحكومة الألمانية قد صرّحت في بيان صحافي أنّها تعارض بحزم أي «استغلال سياسي» لاتفاقية منع الإبادة الجماعية، وأنّها ترفض الاتهامات الموجهة إلى الاحتلال الصهيوني «التي لا أساس لها من الصحّة». هذا الموقف الصادم الذي يأتي في دعم إبادة الغزيّين والتهجير القسري بشكل مباشر وعلني، دفع بجمهورية ناميبيا إلى تذكير ألمانيا بتاريخها الاستعماري، كما جاء في بيان مكتب الرئيس الناميبي هاكه كينكوب: «على الأراضي الناميبية، ارتكبت ألمانيا أول إبادة جماعية في القرن العشرين بين عامَي 1904 و1908، راح ضحيتها عشرات الآلاف من الناميبيين الأبرياء في ظروف غير إنسانية ووحشية للغاية».

لم يقتصر دور ألمانيا على دعم الإبادة سياسياً وقانونياً، بل امتدّ إلى جميع الأصعدة الثقافية والفنية والتعليمية حتى أثبتَت أنّ «جهاز الدولة القمعي» لا يختلف عن «المؤسسات الأيديولوجية للدولة» حسب الفيلسوف الفرنسي لوي ألتوسير (راجع الأخبار 2024/2/13). في الوقت الذي حرّكت فيه الدولة الألمانية جهاز الشرطة في وجه المتظاهرين المؤيدين للقضية الفلسطينية والداعمين لوقف العدوان الصهيوني على غزة، مستخدمةً العنف عبر التعرض للمواطنين واعتقالهم وقمع أصواتهم لمجرّد أن رفعوا لافتةً في الشارع تدعو إلى وقف إطلاق النار، جاءت المؤسسات الثقافية والفنية لتقوم بالدور نفسه، وتستخدم العنف المختبئ خلف الأيديولوجيا. في الفترة الأولى من الحرب، ألغت ألمانيا العديد من الفعاليات الثقافية بذريعة «تباينات في وجهات النظر حول الحرب»، ثم أصدر منظمو «معرض فرانكفورت الدولي للكتاب» في 13 تشرين الأول (أكتوبر) 2023 بياناً أعلنوا فيه عن تضامنهم الكامل مع كيان الاحتلال، وقاموا بإلغاء منح الكاتبة الفلسطينية المقيمة في برلين عدنية شبلي، جائزة أدبية عن روايتها «تفصيل ثانوي» (2017 ـ الأخبار 2023/10/15)، التي تُرجمت إلى الألمانية واعتبرتها لجنة التحكيم المسؤولة عن الجائزة «عملاً فنّياً محترفاً يعالج مسألة الحدود والصراعات، وما تحفره الصراعات الدموية في كينونة الإنسان». وقبل ثلاثة أعوام كانت قناة DW الألمانية الناطقة بالعربية قد اتّهمت عدداً من الصحافيين العرب المناصرين للقضية الفلسطينية بتهمة «معاداة السامية» لتبرير طردهم من الشبكة («الأخبار» 2021/12/9). لكن الحدث الأبرز جاء أخيراً عن مجلس الشيوخ في برلين الذي أعلن أنّه سيبدأ من الآن فصاعداً بالطلب من الفنانين والعاملين في المجال الثقافي الموافقة على تعريف إشكالي لمعاداة السامية كشرط للحصول على تمويل من الدولة، ويبرّر عضو مجلس الشيوخ عن الثقافة في برلين، جو تشيالو، هذه الخطوة بأنّها «تمنع دعم التعبير العنصري والإقصائي». أدّت هذه الخطوة إلى إثارة احتجاجات في

> مجموعة «سترايك جيرماني» تشكّلت حديثاً بهدف «رفض استخدام المؤسسات الثقافية الألمانية للسياسات المكارثية التي تقمع حرّية التعبير»

الوسط الثقافي الألماني، واعتبرت مجموعة «سترايك جيرماني» التي تشكّلت حديثاً «دعوة لرفض استخدام المؤسسات الثقافية الألمانية للسياسات المكارثية التي تقمع حرّية التعبير، وتحديداً تلك التي تقمع التعبير عن التضامن مع فلسطين» كما جاء على موقعها الرسمي (strikegermany.org) وحسابها على موقع إكس. رفض الفنانون والمثقفون حول العالم أيضاً الموافقة على التعريف الجديد الذي تطرحه الحكومة الألمانية لِـ«معاداة السامية» وأطلقوا عليه مصطلح «معاداة السامية المستوردة»، أي إنّه يمزج بين «معاداة الصهيونية» و«معاداة السامية». رأت مبادرة «سترايك جيرماني» أنّ هذا التعريف الجديد الذي تسعى الحكومة الألمانية إلى إلزام العاملين في المجال الثقافي على تبنّيه ما هو إلا خطوة عملية لحماية الاحتلال الإسرائيلي من أي انتقاد ضد سياساته العنصرية ومشروعه الاستيطاني في فلسطين، كما يفتقر التعريف إلى الدقة القانونية فيما قد يحدّ من الحقوق الأساسية، وخصوصاً حرية التعبير في الفنون.

منذ الهولوكوست، حصر الغرب مفهوم «معاداة السامية» باليهود ومعاداتهم، ووظفه كسلاح مخيف تجاه كل من يحاول الإشارة إلى جرائم الصهيونية بحقّ الفلسطينيين أو حتى نقد سياسات الفصل العنصري التي يقوم بها الكيان العبري. لكن مصطلح «معاداة السامية» يعود في أصله إلى العرق السامي ولغاته المتعددة من بينها البابلية والآشورية والكنعانية والعربية والعبرية، وكان أول من استخدمه الببليوغرافر «غير المؤيد للصهيونية» موريتز ستاينشنايدر (1816-1907)، أحد مؤسسي اليهودية، حين كان يطرح نقداً لنظرية تراتبية وطبقية الأعراق عند المؤرخ الفرنسي إرنست رينان، رافضاً فكرة أنّ العرق الآري يتفوّق على نظيره السامي من حيث الفهم والثقافة والمعرفة. وكان الأكاديمي الفلسطيني جوزيف مسعد الذي تعرّض لتهمة «معاداة السامية» قد وضّح أنّ المصطلح لا يقتصر على اليهود فقط، بل يشمل التنميط السلبي للعرب والمسلمين والتحيّز ضدّهم. وبالتالي، فإنّ اليهود أنفسهم يمارسون العداء للسامية في تعاملهم مع الفلسطينيين والعرب (الأخبار 2023/10/25).

وقّع مئات الفنانين والأدباء على العريضة التي تدعو إلى مقاطعة المؤسسات الثقافية الألمانية من بينهم آني إيرنو

لاقت العريضة التي تدعو الفنانين إلى «تعليق العمل والحضور في المؤسسات الثقافية الألمانية والإحجام عن المشاركة في المهرجانات والمؤتمرات والمعارض في ألمانيا، حتى تتم تلبية المطالب»، ترحيباً وتضامناً عالمياً فوقّع عليها المئات من العاملين في الوسط الفني والثقافي، من بينهم الكاتبة الفرنسية الفائزة بجائزة «نوبل للآداب» عام 2022 آني إيرنو (1940) التي تُعد أول امرأة فرنسية تحصل على الجائزة. تكمن أهمية صاحبة كتاب «السنوات» (2008) في أنّها مناهضة للعنصرية وقّعت سابقاً عريضتَين (2018-2019) تدعوان إلى مقاطعة المبادرات الثقافية بين فرنسا والاحتلال الصهيوني لأنّ ذلك «يأتي على حساب الشعب الفلسطيني». كما قامت الروائية البوسنية الصربية لانا باستاسيتش الحائزة «جائزة الاتحاد الأوروبي للأدب» (2020) بقطع علاقتها مع دار نشر ألمانية اعتراضاً على «صمتها على الجرائم الإسرائيلية». وصرّحت أنّ «دعم ألمانيا الرسمي والقوي لما تفعله الحكومة الإسرائيلية بعيد كل البعد عن الإنسانية، ومن مسؤوليتي التنديد به بسبب نفاق ألمانيا وقبولها للتطهير العرقي في غزة». اللافت أنّ صاحبة كتاب «صيد الأرانب» (2020) تحدّثت عن المزايا الهامة والفرص التي كانت ستحصل عليها من التعامل مع دار النشر الألمانية (S. Fischer) من بينها «المشاركة في المهرجانات التجمعات الأدبية، لكن تلك المكاسب لم تثنها عن تجاهل معاناة الفلسطينيين». وكانت الكاتبة قد نشرت مقالاً في صحيفة الـ «غارديان» وصفت فيه القصف الإسرائيلي لغزة بـ«العقاب الجماعي». ووقعت على العريضة أيضاً الكاتبة الإيرلندية شارلوت برودجر الفائزة بجائزة «تيرنر» البريطانية (2018)، والممثلة إنديا مور. وانضم فنانون عرب أمثال الأردني لورنس أبو حمدان، المحقق الصوتي الحائز جائزة «تيرنر»، والناشط الفلسطيني محمد الكرد، والفنانة الفلسطينية جمانة مناع. كما بدأت وثيقة المقاطعة هذه تجذب أكاديميين حول العالم وجدوا أنّه آن لهم أن يشاركوا في وقف إبادة جيش الاحتلال الإسرائيلي للفلسطينيين في غزة، من بينهم الباحث الأكاديمي نادر أندراوس.

في الوقت الذي تدّعي فيه ألمانيا خروجها من عصر النازية العنصرية التي ارتكبت إبادة بحق كل من اعتبرته دون العرق الآري، إلى عصر الديموقراطية والثقافة والفن وحرية التعبير، يقف الفيلسوف الألماني فالتر بنيامين ليكرّر جملته «لا توجد وثيقة حضارية ليست في الوقت نفسه وثيقة همجية» بينما يحلّق «ملاك التاريخ» جاحظاً عينيه وفاغراً فاهه، تدفع عاصفة التقدم والحضارة جسده إلى الأمام، لكن وجهه المشدوه يميل إلى الخلف، فلا يرى سوى كارثة تستمر في تكديس الحطام وقذفه أمام قدميه.

* رابط العريضة على موقعنا

إنّه شعرٌ مكتوب بالدم: كتبه بعضهم حين كان الموت يمشي نحو البيت، وأوقدوا حروفهم حين أطفأهم الصاروخ، قالوا كلمتهم ومشوا نحو المنايا، واختلطت الطائرات على أحلام أطفالهم... ظنوها طائرات ورقية كتلك التي يربطون براءتهم بخيطانها لتأخذهم خلف ذلك السجن الكبير نحو الحرية التي لا تكون إلا مصبوغة بالنجيع... أما من لم يموتوا، فمنهم من ينتظر، كتبوا من تحت النار والحصار أشعارهم باللحم الحيّ، والغول الذي يغذيه ويشدّ على يده كل سفلة الدنيا وشذّاذ الآفاق لم يرتوِ بعد من جثث أهلهم وأحبّتهم، ومن أنقاض بيوتهم وذكرياتهم: في عدد ممتاز (رقم 137) خصّصته «مجلة الدراسات الفلسطينية» بالكامل لغزّة (شتاء 2024) حضرت الملحمة الفلسطينية بكل تفاصيلها: من حوارية بعنوان «فلسطين من القدس إلى غزة»، إلى محور الأسرى والحرية، ومحور الإعلام والسردية، ومحور الإعمار والعمارة، ومحور الاجتماع والثقافة، وشاركت فيه أسماء بارزة مثل الياس خوري، وعبد الرحيم الشيخ، وسيف دعنا، وخالدة جرار، وخالد عود الله، ونصوص للراحلَين معين بسيسو وحسين البرغوثي وغيرهما. وكان مسك ختامه كلمة للقائد الجهادي محمد الضيف. إلا أن الأبرز هو محور الشعر الذي جمع قصائد للشهداء والأحياء اخترنا باقة منها في «كلمات» كتحية لغزة: هذا شعرٌ لا يمكننا إلا أن نصدّقه لأنه كلمة الحياة الأولى والأخيرة في وجه الموت، وصرخة الكرامة في وجه آلة الموت التي تغرز نصالها في لحمنا وتطحن عظامنا منذ زرع ذلك الغرب المستعمر والمستكبر تلك الغدة السرطانية بين ظهرانينا. لكن الشعر باقٍ كزيتون الأرض وتينها وبياراتها، ولا بد من أن ينجلي ذلك الليل في غزة الذي لا يشبه ليل الناس، ولا بدّ من أن نواصل الصعود يوماً نحو يافا كما كانت تقول القصيدة، نحو التراب كلّه، من البحر إلى النهر، ولا بدّ من أن يرحل أولئك المارّون بين الكلمات العابرة.

تقديم واختيار **محمد ناصر الدين**

عدد خاص بغزّة صادر عن مجلة «الدراسات الفلسطينية»

شعرٌ مكتوب بالدم... باللحم الحيّ

1- روح مجزة ــ هبة ابو ندى (1991 - 2023) استشهدت في 20 تشرين الاول (اكتوبر) 2023.

إنْ كنتَ تحسبُني ذكرتُكَ
لو لمرّة
فلقد نسيتك في القصيدة
ألف مرّة

في المقطع الصوتيّ
للصمت الطويل
وحيثُ لا تَجدُ الحواسُّ
فماً ونظرة

وهناك في كوخ الغياب
على شُعَيْراتِ الحصير المُقَشْعِرّة

في غرفة النسيان
حيثُ الشمس لا تدنو
إلى صدأ الأسرّة

وعلى النواعير المقامة
فوق أنهار التلاشي
المستمرّة

وكأنّهم مسحوا بساتين
النخيل وما تبقّى في
الغياهب روح تمرة

قد مرّ طوفان الأساميِ
تحت أقلامي ولَمْ تَغْلَقْ
به في شبهِ
قطرة

برزخ مراعي الشوق
لَمْ تومض لثانيةٍ
ولم يصهل عليك
خيال مُهْرة

أطوي دروب الغائبين
ولا أفتّش عنك فيها
لَوْ كَعَثْرة

في شارع التَّحْنان، أبدأ
لا تمدّ الذكريات يداً
لماء أو لكسرة

خبز الكلام هناك أمسى
يابساً
والحبُّ في غميضة الذكرى
تَعُدُّ لَهُ لعشرة

قشّرتُ ذاكرتي
وسرتُ أحيك مِنْ البداية
للفؤاد الطفل
سترة

وسلخت حنّاء الحنين
فلي يدان ستنجبان
الضوء بكرة

مِنْ بعد ما نضجت جروحي
دهشة، والورد مثل الجمر عندي
محضُ حُمْرة

من بعد ما اكتملت مقاساتي
بها، لا ارتدي حلماً صغيراً
بينما روحي المجرة
مِنْ بعدِ ما فهمت مخيلتي
قداسة نفسها
لن تستطيع بها الحلول
ولو كفكرة

لا أصنع الحلوى لأنسى
فالطعام المرّ أقوى
والقصيدة
بعد
مُرّة

هذا لأنّ نبوءتي قالت: سأدرك
حكمة الصَلصال،
لن أبكي لجرّة

ظهري -وإنّي لا أقول كسرته-
لكنّ شيئاً من خلالك
شاءَ كسره

الآن أحنجرتي التي قد امتني
في سماء العنفوان
تطير حرّة

* أعيذك

أعيذُك
في الغروض
والاستخارة
وأرقي كل مئذنة
وحارة

من الصاروخ لحظة
كان أمراً
من الجنرال
حتى صار غارة

أعيذُك، والصغار
قَبَيْلَ يهوي
تغيّر بابتسامتها
مساره

أعيذك
أعيذك، والصغار هنا
نيامُ
كما نام الفراخ بحضن
عشّ

ولا يمشون للأحلام ليلاً
لأن الموت
نحو البيت
يمشي

ودمعُ الأمهاتِ غدا يماماً
ليتبعَهُمْ بِهِ
في كل نعشْ

أعيذُ أبَ الصغار وبعد قصفٍ
يشدّ البرج حتّى لا يميلا
يقول للحظة الموت
ارحميني
فماذا لو تأخّرت
قليلا؟

يقول: لأجلهم أحببت
عمري
هبيهُمْ مثلَهُمْ
موتاً جميلاً.

يقف الصحافي بكاميرته يسرق
احمرار
وجنتيها
صفير صوتها، يقول تتواجد
معي قطعة
سكاكر
مَن يرغب في علكة
تتحول قصصنا إلى سكاكر
يمضغها الناس
يبصقونها في الشارع حينما
ينتهون
وهكذا تُروى قصص النساء
بين أرصفة الشوارع والأزقة
قصة ما قبل النوم...

* ينشر هذا النص بإذن من «معهد دراسات المرأة» في «جامعة بيرزيت»، مشروع «شهادات نساء من غزّة».

4- «ليلٌ لا يشبه ليل الناس» ـ سليم النفّار (1963 - 2023) استُشهد في 7 كانون الاول (ديسمبر) 2023.

الليل هنا، لا يُشبه ليل الناس
نحن الآن بلا نوم
يا أسياد النوم العربي!
فالنّارُ هنا من أخمص أرضي
حتى الرأس
الوقت يمر ثقيلاً
محقوناً بدمي
برحيق الأنفاس
وأنا أركب خيل الحلم
وأقتش عن نرجسة في حقل الأس
الليل هنا، لا يُشبه ليل الناس
في شرفتهم أكواب مختلفة؛
ومساقات لحديث مشغول
بمسرة؛
وقصير ذاك الليلُ، فليس به
حرّاس
لكن:
الليل هنا مخطوف من ليل
لا يزرع فينا غير الخوف وغير
الوسواس
لا شرفة في بيتي تفتح ضوء
الشمس
مسروق صبح مدينتنا
فرح الأطفال، ونومي مسروق
تعبٌ من نار تطفح بالحقد
لكن:
ما زلتُ على أمل
لا أظْهَرُ عندي فزعاً للأولاد
رغم الأوجاع المدفونة في صدري
أو أصداء الخنّاس
حين يجن القصفُ المجنون
لا أعرفُ إنْ سقطت نافذة
أو أن يدي ضربت رمل الوقت بلا
أجراس
فالليل هنا، لا يُشبه ليل الناس
الناس تنام وتصحو، على وقت
في حبر
أجندتها
لا ضير بأن تعبث: في هامش
جدولها
تلهو من كدر، فتؤجل ضحكتها
لكن:
في غزّة لا تأمن أنْ تلهو بالوقت
وبالإحساس
هزّات الأرض قوية،
نكسر ريختر لو حاول أي قياس
وحش منفلت من عصر حضارتنا
احمرار
لا يُشبه أي الأجناس
موهوم بالقتل،
وكأنّ دم الأطفال يُديمُ خرافاتِ
العرش
في الخوذات الفاسدة
أي سماء ترجو
أي فضاء تعلو
أي موت تدنو؟؟

- لماذا تذهبين الآن؟

وحيداً أقود الوقت
إلى راية في الأعالي
لماذا تركت يدي الآن
ألَم نتفق يا حبيبة: معاً
أن نواصل قتال الليالي؟
ألَم نتفق أن نواصل نشيد
الصعود
نحو يافا
وأحلام الفتى
ذاك الذي تعشّقتِ؟
أيا مصطفى قلبها:
لم ينم نبض قلبك في وريد
الزمان
كلّما هبّ الحنين
تناديك ليلى بكلّ الصّفات،
تلك التي لم تغب،
عن سماء الذكريات
صاحياً صوتها لا ينام
يُداري هبوب الصّدى صورةً
يلمعها النّدى، يُعطّرها الأرجوان
لماذا إذا ترحلين الآن؟
تعبت ثَرى،
أم جدالٌ عقيمٌ
على درب حبك بنا،
لم يعد يكفي شروحاً
على ما مضى من حنين هنا
في سجلات الخوالي؟
وحيداً
تركت الفتى يا معلمتي
يواصل عتمةً في الطريق
عقود مضت من تفاصيل المسيرة
وكنّا على مهل نُضيء الفوانيس
على كل مُفترق،
نرى فيه حلماً عتيق
أعيدُ الآن من شاشة التذكار،
شكل عينيك، حينما أيقنت دربي
إلى غزّة
تداعت إليكِ تفاصيل يوم قديم
قلت في حينها: أن المرايا تعود
الآن
إلى نهرها؛
تشطف الصبح المخبأ في الغمام
العميق
تُعلي ببارق من تنادوا في الزمان
لكنّهم رحلوا... فهل يأتون من
وجع نُسَمّيه
السلام
واردفت دمعاً ساخناً في يَدِي
وأطلقت موجاً من كلام:
اذهب بنيّ
إلى ما نشتهي من حلمنا
في حيّز في المكان
ربّما نصطفي ساعة في طريق
المنام
ربّما
ربّما يفرح القلب
ولو بعد حين من ظلام
ربّما نسوق جيش الأماني
على موج تداعى في ضلوعِ
الزّمانْ
لكنّها قالت:
تمهّل حبيبي
فإنّي أرى ما لا يُرى في هشيم
السنين
يا رفيقَ الزمان الجميل
أرى الآن أفراحي
يُغالبها وجيع الوقت مُتلألاً على
لهب الحريق
لا يُطامنني سؤال
هنا... في انزياح المعاني
على رسلها موجاً يُضاهي
الكبرياء
كاذب هذا المهرّج
فلا بحر من خلفنا، لا
ولا فرسان في قمم الضياء
وجوقات الأغاني هنا،
ليست سوى ذاك النعيق
وحيداً
تركت الحلم يا قلبي
لماذا الآن،
وأنتِ التي كاسرت أعباء الطريق
لمْ تُهزمي ذات درب؛
لكن: تنامين الآن من وجع عميق
لا يستوي حلمنا في شقاق
الرفاق
هكذا قلت ذات صبح،
حينما ضجّ الكلام،
هارباً من نُسغه ذاك البريق
وحيداً
أعاني ندوباً على سطح حلمي
أعرّي جروحي لملح الليالي
أضيء الوقتَ في شمسنا الخافتة
لعل الحبّ يُسعفنا
لعل الشعر ينقذنا
في انفضاض القافلة
وحيداً
تركت الفتى في الليالي الباردة.

5- «أجزّها معي اينما حللت» ـ يحيى عاشور

ما الذي سيعوّضني
لقاء كل صاروخ سمّعته ينفجر
لقاء كل مرّة دفعتني الحرب
إلى حافة الموت
ولم أمت؟

ما زال دمي يغلي
سلام لغزّة
كل مرّة أتذكّر فيها أنّ حروباً
حاصرتني في البيت
بطحتني على الأرض
قيّدتني بالقلق.

ما زال دمي يتبخّر
كل مرّة أتذكّر فيها عدد الصواريخ
التي سقطت قرب بيتي الليلة
«الماضية»
رحمتك يا إلهي...
كلّما حاولت عدّ الصواريخ لا
أحصيها!

يقهرني ضيق معنى النجاة
لأنّي لم أنجُ بعدُ مِنْ أوّل حرب
شهدتها
وها أنا «أنجو» مِنْ أوّل حرب لا
أشهدها.

كل مرّة أكتب عن الحرب
أكتب الكلام ذاته
مع قليل من التدوير والتبديل
ولا أكاد أصيب جسد الحرب
أرضاً.

جسد الحرب ملتصق بجسدي
أجُرّها معي أينما حللت
أمّا روحها
فأخشى أنّها أمستْ روحي.

أيّها العالم
حين تنتهي الحرب وتكون لنا
فرصة لقاء
اسمح لي بالصراخ في وجهك
كلما أدنيتُ يدك تربتُ على كتفي
اسمح لي بالبكاء رعباً منك
كلّما حاولت أن تبكي من أجلي.

اسمح لي بالجلوس صامتاً
أمامك
في غرفة المؤتمر
وفي غرفة التحقيق وفي غرفة
النوم
ولا تسألني عن أي شيء.
أما أنت أيها الاحتلال
فما تزال نكاتك سخيفةً وغير
مضحكة
لا أعرف كيف تدسها حقائق في
حليب العالم
العالم الذي يفرح بانتهاء الحرب
كأنها فيلم
ناسياً أنك تعيدنا كل مرّة إلى
مسلسل
الحصار.

لم أصدق نجاتي يوماً
اليوم فقط أظنّني تأكدتُ
أنني نجوتُ فعلاً مِنْ كل الحروب
السابقة
ولم أصدق نجاتي يوماً
حتى توقدت هذه الإبادة وأنا
خارج غزّة.

كل حرب عشتها
كنتُ أظنُّها آخر حرب أعيشها
ليس لأن الحياة كانت تأسف
على شيء
بل لأن الموت كان الفكرة الوحيدة
التي يمكن أن تدور في رأسي
الموت كان الفكرة الوحيدة
التي اتَّخَذَتْ مِنّي ملجأً
ولم أكن أجا في نجاتي
إلّا للموت.

كنتُ أفكر دائماً:
سينهال السقف على جسدي في
أيّ لحظة
ويغرسني في جوف الأرض أيما
غرس
أو ربّما ستصيبني قذيفة
تقطع أوصالي وتفخّمها
حتّى قبل أن تتمكن روحي من
مفارقتي
فلا يسعني أن أحلّق في السماء
ولن تنفعني يومئذ عرجتي.
يا لحسرتي هذه المرّة
يا لحسرتي في نجاتي
الموت أبعد ما يكون عنّي
لكنّه يعانق بحرارته رقّاقي
ويلاحق أطفالهم دون حلوى.

لستُ في غزّة هذه المرّة
كي تسجّل الحرب حضوري
أو حتّى نجاتي مِنْ عدمها.

6- «في جنازة» ـ مصعب ابو توهة

في الحرب تحتاج أن تغير
ملابسك في كل
جنازة تخرج بها،
فأنت لا تريد أن يقول الناس أنك
لا تملك غير
هندام واحد فقط
يحدث أن تغير ملابسك أربع
مرات خلال ساعات
كل هذا يعتمد على عدد الجنازات
في المنطقة.

حدث أن بحثت عن ملابس تحت
ركام بيوت
الجيران
ملابس أصدقاء من مثل سنّي.
كنت أعتذر وأقول:
«أسف، يا فلان، فربما اشتريت
هذا القميص أو
السروال قبل أيام
ولم تلبس أياً منها. لكن ها أنا
ألبسها في
جنازتك أو جنازة جارك.
أليس هذا جيداً؟»
أمّا بالنسبة إلى النعال، فمَن
ينظر إليها؟
فقط الموتى تحت الأرض يمكنهم
تمييزها من
الأسفل.
هم فقط من سيلاحظون ماذا
سأرتدي.

7- «صعدنا للحياة» ـ وضاح ابو جامع

صعدنا للحياة
كمَن يصعد سيارة فارهة
إلى نزهة قصيرة
واختلفنا كثيراً مَنْ فينا يجلس
عند النافذة
أوهمنا الدفع الرباعي
وسرقنا الوقت
لنتلصّص على المناظر الخلابة
ونندهش من السرعة الفائقة
وتلك المركبات
التي حاولت الاصطدام بنا
وتجاوزناها
حتى نسينا تماماً
أنّ السيارة مفخخة
وكل المركبات التي سبقناها
جاءت
لإسعافنا

في مدينتك البعيدة
تتراقص الحرب على جثث
الموتى
وغبار البيوت
وحين تقفزين من صوت القصف
استيقظ
في مدينة أخرى
وعلى جسدي
آثار
تعذيب
■■■
لدي ابنة عمّ
جاءت إلى الحياة
بعد سنوات من زراعة النُّطف
في أوردة القحط.
توفيت إثر شظية طائشة
اخترقت رأسها.
لم يخطر لذهني قبل الحرب
بأن الورود الاصطناعية
قد تذبل.
■■■
في عام 2008 حين بدأ وحش
الحرب بالنهوض، كنتُ أحضّر
نفسي لاختبار التاريخ المعقد
في اليوم التالي، ولم تمر سوى
لحظات لأسمع للمرة الأولى في
حياتي أول صاروخ لطائرة من
طرازF16 ولم تغفل عيني حتى
شاهدتُ أول رأس مُلقى بعيداً عن
جسد وبلا أي تقديم للاختبار.
احتسبوا علامة شبه كاملة لكل
الطلاب الذين شاركوا في التاريخ.
***
يقف الجميع في حيرة من أمره
بينما يُشاهد الفلسطيني يبتسم
أمام ركام منزله
أو مكبل الأيدي
في لحظة اعتقاله
وفي المرة التي يحملُ بها نعش
ابنه في
جنازة، وحده مَن يُدرك
بأن الموت
هو الذي يطلب منه أن يبتسم
ليأخذ له صورةً
جيدة.

8- «رثاء» ـ بيسان عبد الرحيم

أخذوا دمك
غسلوا به الطريق
ماء يسقي عطش المغتربين
عنبر يعطرُ خطانا
يمسح خطايانا

مَن باع اسمك يا رفيقي؟
كفكفنا الأيادي
وتصافحوا
وحدي
أرش الحنة على أعتاب الغياب
أجدل خصل العتاب
خطواتك زالت على الباب
وما زلت أمشّط رمل الخيام
أئوب أعرني القميص
فما بال عيني

ما كنت أعرف أن الطريق
طويل
طويل
طويل
من كان يعرف الطريق غيرك
فاختصرته بالغياب
تصافحوا...

9- «شبعت موتاً» ـ عنمان حسين

شبعت موتاً،
حتى امتلأت أنقاضاً ومفقودين
وحكايات لا تصلح للأحفاد
الثكالى.
يا موت انتظر،
أحتاج أن أبلغ ريقي،
أو حتى ينتهي الجلاد من
أشغاله.
يا موت أيها المنادى
لا تليق بنا.
***
أعزل وفي عزلة،
أطل من نافذتي على بقاياي، أرى
من يدفنون
رؤوسهم في رمال تتحرك رافعين
مؤخراتهم
شارات نصر مقلوبة، أراهم
زرافات
زرافات.
وفي عزلتي يكذب المنجمون
دائماً، أو يجهلون
غايتي، لذا، أفاجئ العزلة أحياناً،
فأترجل
خارج كهفي أركل علبة كولا
فارغة عدة أمتار
إلى الأمام، وأواصل الطريق إلى
ساحة الجندي
المجهول، كي أحتار وأرتبك أمام
خليط
العابرين الذين تجمعهم عيونهم
المطفأة،
وتفرقهم خصومات وقصائد
جائعة، لا شعر
فيها ولا كلاماً يُشبع جائعاً
ملقى، لا يرى إلّا
أحذية بالية وسيقاناً أنهكها
المسير.
أنساب في الزحام كافعى، معتقداً
أنني
لا مرئي، وأن عزلتي تغلفني.
فاجأتها وترجلت خارج كهفها،
حاملاً
حلماً يتشكل في كل حين،
يصطدم في رؤوس
الناس، تتكسر الرؤوس، وتتوزع
أشلاء الحلم
أفكاراً وحكايات موت ليلاً
وكوابيس،
وسحابات جوفاء تتجول مثلي
■■■
عاد جدي ليطعم الطير، ويغلق
الباب المفتوح،
أعزل، يحمل رأساً محشواً
بحكايات خرساء.
اصطاد رأسه جندي جاء للتو من
بلاد بعيدة.
أبي لم يعد، ولم يصطده الجنود،
لكنه
ساقني إلى مصير ما زال
منتصباً في وجهي،
تُحلّق الكوابيس في فضائه
المجهول.
عاد جدي ولم يصل.

10- «اليراعات» ـ وليد الهليس

لا أتعوّد غيابهم؛
غبَرتْ غبار أقدامي
وأقمت في لغات بعيدة...
أنزلت براويز وسامتهم عن
الجدران
حاولت
لكنهم لا يستأذنون بالدخول..
يعبرون حديد السماء بلا ألم،
ينظرون إلى فراغ الجدار
لا يقولون شيئاً
ثم، دون سلام، يغادرون
أسماؤهم تغيب عن الحفل
ووجوههم عن الكلمات
عن زوال السحر
عن الأوسمة
لكنهم لا يغيبون
لا أتذكر الآن، غيرهم...
لا أفتح الباب لطارق،
ولا أجالس أحداً، سامراً،
سواهم

في ضوء أسمائهم أسوق عتمتي
إلى وكرها،
وألمّ حجارة البيت
وأحمل آخر وردة في حديقتي
إليك

العتم يوسع الخطو والطريق
تضيق
ولا شيء يضيء للسراة
لا شيء
سوى يراعات تنوس وهي تبتعد

مديح الشوكة
الشوكة، لا غيرها؛
حارس الضوع
واضحة، لا تثرثر، لا تتلعثم
لا شيء يملكها
غير شوق لا يروي
لا شيء
غير مجد العناد، بسالة اليأس،
ووقفة
المحارب

الشوكة، لا غيرها، تكتفي بالقرب؛
لا تذل ولا ترغب
لا تعرف الانحناء
لا وهم يأخذها
لا رجاء

الشوكة لا تريد شيئاً، يا
أصدقائي،
ومثلها نحن أيضاً
لا نريد سوى أن نظل هنا، أو
هناك
يعذبنا اللون، وهو يحول،
معاً،
ورويداً نجف،
رويداً
ونحن نرى العطر يرحل

لا ننحني،
ونموت
شوكة لا تخون وردتها

لحظات فرح مسروقة من الحرب (غرب رفح ـ أقصى جنوب)

طوفان الأقصى

سجّل! أنا فادي وشحة مُشتبك من «المسافة صفر»

«مبروك الشهادة يمّا، هذا العرس يمّا»، هتفت والدة الشهيد البطل فادي وشحة، وقد سبقها قلبها وغصّة روحها إلى الوداع الأخير لجثمانه. سيرة فادي صارت رواية خطّتها شقيقته، لتكون رحلة الكتابة كما وصفتها «طوق نجاة في بحر الألم الشديد الذي عشته وعاشته عائلتي، وقد وجّهت ذلك الحزن وطوّعته ليكون تخليداً لذكرى هذا المناضل الحر الذي عاش حياته حالماً بالحرية مشتبكاً»

الثناء تشييع الشهيد فادي وشحة عام 2021 (هادي صبارنة)

علي حمدالله

«المسافة صفر» روايـة عربيـة من الأدب المـقـاوم على شكل سيرة صدرت أخيراً عن «الأهلية للنشر والـتـوزيـع»، بقلم رانـيـة وشحة المساعدة الإداريـة في «جامعة بيرزيت»، شقيقة الشهيد فادي وشحة الـذي قتـلـه الاحـتـلال الصهيوني عام 2021 عند المدخل الشمـالي لمدينـة البـيـرة. تُنبيت الرواية على مجموعة من الذكريات والمقابلات مع أصدقاء الشهيد في مرحلة الطفولة والشباب والسجن حيث أمضى ثمان سنوات، عبر رحلة بحث شاقّة. كيف لا وهي سيـرة بـطـل أحسـن «الـتـخـفّـي والتحاف الأماكن»؟ يستدعي النصّ أشكالاً أدبية عدة شكّلت نَسيجه: أدب الواقع والفانتازيا المتخيّلة والتوثيق والسرد. ومن التراث، يستدعي الخرافة والحكايات والشعر والمثل والنكتة، مستفيداً من اللغة المحكية حيث تلزم.

هذه ليست سيرة

تتخطى السير في أدب المقاومة سيرة صاحبها إلى سيرة ومسيرة جيل، فبطلها مقاتل مشتبك، وموضوعها هو مقارعة الاحتلال من المسافة صفر. ولأنّها سيرة بطل، تنأى الكاتبة - التي تسرد بواكير العمل على لسانها - أن تضع ذاتها في النص تواضعاً، فتنحيها على ثلاث دفعات إلى أن تختفي: مرّة بأن وارت اسمها تحت الرقم ستة، وثانية بأن افتتحتها بمشهد تُركت فيه وحيدة خارج المنزل مع عفشه، وثالثة بأن تركت لفادي أن يكمل النص بلسانه، ليذوب العاشق في قصّة المعشوق، وينطق لسان المعشوق بقلم العاشق. رانية لم تكتب لتواجه الحزن وتطوّعه فقط، بل كتبت عشقاً وفخراً، أو لنقل إنّ النص في صيرورته الشاعرية يتكشّف فيه الحزن والفجع والعزاء إلى فخر وفرح وزفّة، فالشهادة عرس لفادي.

تبدأ سيرة فادي وشحة بفصلين يصفان الأسرة والجدّة. أسرة بسيطة لأبوين لم يكملا تعليمهما، كرّسا حياتهما لإطعام وتربية 11من الأبناء. اضطر الأبوان للعمل في المستعمرات، في مشهد يعيشه آلاف الفلسطينيين، ويمثّل أعلى أشكال استلاب الكرامة الوطنية والفردية، وخصوصاً حين يجبر الفلسطيني وأسرته على العمل في مستعمرة شيّدت على أرضه. أن تبدأ السيرة الفردية من الأسرة، يحيل إلى مركزية دور الأسرة الفلسطينية في التربية والتنشئة، ففي البدء كانت الأسرة. تفتتح السيرة على مشهد شديد العادية يصف ذهاب الأسرة لإخراج العفش خارج المنزل لإجراء بعض التحسينات والإصلاحات ومنها دهان جدرانه الداخلية بالأبيض. ألا توحي هذه البداية بإعداد قديم لاستقبال عرس شهيد سيرتقي بعد عشرات السنين؟

ما يلبث النص أن يحتويك في عاديّته غزيرة التفاصيل إلى أن يوقظك من هدأتها وغفلتها على وقع خطوات ثلاثة شبان تلثّموا الكوفية الفلسطينية. يفتح الأب لهم باب بيته ليأتمنوا إليه من مطاردة جيش الاحتلال، فـ «الباب اللي بيجيك منّو الريح افتحوا وواجهو». هذا الانتقال المباغت من العادي إلى النكبوي، ظلّ يرافق النص الذي تألّف من طبقتين متشابكتين لا انفصام بينهما: طبقة العادي وفيها أطفال وألعاب وحكايات وطبيعة وأشجار وبيوت وأصدقاء وجامعة ودروس وأحلام وطموح وصفاء، وطبقة النكبوي وفيها الجرح والقتل والاعتقال والمصادرة وواد الأحلام وإبادة الذكريات.

على حبل التوتر بين الحياتين/ الطبقتين، يمشي جمل المحامل الفلسطيني وفي يديه خيزرانة لضبط توازنه توزّعت على طرفيها مناصفةً آمال الألم من جهة والأمل من جهة أخرى. إنّ الحياة الفلسطينية في جميع أماكن تواجدها وبكل تفاصيلها احتلال! فلا يوجد منها ما هو خارجه، لذلك تحديداً صارت الحياة الفلسطينية هي النضال والنضال الفلسطيني هو الحياة، والمسافة بين الحياة الفلسطينية والحياة الفلسطينية المستعمرة/ المغتصبة صفر. محاولات النص المستمرة للربط والفصل، الدمج والتمييز، بين ما هو عادي وما هو نكبة، تفعل فعلها في الخيال، تغويه بذاكرة فلسطين البكر قبل الاحتلال، لتؤلّبه ضد واقع فلسطين المغتصبة. وفلسطين البكر ليست حبيبة الذاكرة فقط، بل موجودة هنا والآن، نسترقها هنيهة كل حين، من بين فكّي زمن الاحتلال، فنتذوّق شهد عسلها وفاكهتها المحرمة من دون ارتواء. لن نشبع من فلسطين إلّا بعد استعادتها. يكافح توتر النص بين المشهد الفلسطيني البكر والمشهد الفلسطيني المغتصب لحماية المخيال من سطوة التسليم بالواقع، فهو إذ يستند إلى ذاكرة مفترضة تستدعي نوستالجيا الفردوس الأكمل قبل النكبة في حاضر منكوب، يذهب إلى إبقاء جذوة مخيال العودة والاستعادة متّقدة. ذاكرة موجودة في الخلف زمانياً، لكنّها متجهة إلى الأمام قتالاً. وفي حين يتعرّض وعي الفلسطيني لكيّ مستمر؛ تتعرّض ذاكرته لمحو مستمر، واليقظة المستمرة سلاح الذاكرة تحت المحو وضده، وفادي شديد اليقظة، فقد نبّهته حبيبته ذات ليل: «إذا نامت العين، بيغتالوا الجسد، وبيسرقوا البلد». والإنسان ليس هو دون ذاكرته، فيحرسها في ملاجئ النصوص. ومن حرصها على نصّها، تبقى رانية شقيقها على «أطراف الحكاية، يحرس ليل النص، تماماً كما كان يحرس ليل بلدته بالحجارة». وذاكرة الطفل فادي التي حبلت باكراً بالفقد ممزوجةً بالانتفاض، ظلّت ملحَة على طفولة صاحبها مشكّلة خياله والعابه، فكان إذ يتسلّى ويلهو يصنع سلاحاً، فاستحق لقب «أبو بارود» بين أصحابه. والشقيقة في توثيقها لسيرة الشهيد، إنّما تحمي ذكراه وذاكرته وفاءً ومحبة، وبهذاً تخلّده، ولأنّه الأحرص على ذاكرته، تسلّمه زمام السرد بعد أن تطمئن إلى نضوج روحه واشتداد عوده.

اعتاق فادي من رعاية شقيقته

في فصل «كتلة شقراء»، ستناجي رانية أخاها: «شقيقي الصغير دعني أقول لك عنك، دعني أوثّق لك سنواتك الأولى. منذ أن قال والدنا إنّك ستكون مختلفاً جداً عن أترابك، صدقت نبوءته، وشهدها العالم تتحقّق وتتجلّى يوماً بعد يوم، وأسماك فادي لتكون فداء لفلسطين، فكان لسيرتك من اسمك كلّ نصيب. معشوقي الصغير، خطاك الأولى كانت تحت النار، وإذ ينعم أطفال العالم بأحضان أمهاتهم وذكريات لا تبرح مكانها، لم ينج طفل فلسطين من احتلالها ونكبتها فينضج مبكراً. أيّها الوسيم الأبيض ذو

> **كان إذ يتسلّى ويلهو يصنع سلاحاً، فاستحق لقب «أبو بارود» بين أصحابه**

لمعتز يوماً. هي أن يعود ليناضل، فيستشهد من جديد. في فلسطين، يولد فادي كل يوم ويستشهد كل يوم، وبالمعنى الحرفي فقد رزقت عائلة وشحة بطفلين أسمتهما فادي ومعتز تيمناً بهما.

الذئب المنفرد

تحت فصل بعنوان «الذئب»، يطل الشهيد معتز وشحة، لتبدأ مسيرة صداقة ونضال مشترك مع فادي انتهت بارتقائهما شهيدين، فكمال الصداقة رفقة النضال. وفي خريفيّة من خيال، يبوح فادي إلى معتزّ بحبه لـ «الذيب»، فـ «الذيب ما بكسر عيونه لا للجن ولا للبشر، بيضل بطلع بعيونك وبسكن فيها، هو تقريباً بقرأ جوّاك، بعرف نقاط قوّتك وضعفك، بشم ريحة الخوف فيك وريحة الشجاعة». بعد سنوات، سيصبح فادي «نموذج الذئب المنفرد» هاجس الاحتلال وأكبر مخاوفه في جغرافيا الضفة الغربية. والذئب المنفرد هو الفلسطيني المنفرد المشتبك من «مسافة صفر»، وفي نظر الأكاديمي والشاعر عبدالرحيم الشيخ هو نموذج المواجهة الحقيقية: «لا يقال للمواجهة مواجهة إلا حين تلتقي الوجوه، وتتناطح الجباه، حرفياً، فتحدّق في عين عدوّك، تنفذ من بؤبؤه. هذه المواجهة، من النقطة- صفر، تجرّد الصهيوني من هالة الوحش -الآلة- النكرة التي نجحت حتى الآن في تسهيل إفلاته من العقاب بوصفه سنّاً في دولاب دولة العدو المتوحشة، وحسب. لكن هذه الحميمية الثورية تُعلن عن الإنسان الجبان في الصهيوني الجبان، وتجعله قابلاً للمواجهة، وقابلاً للهزيمة، وقابلاً للملاحقة، وقابلاً للثأر منه».

زمن الغربة ومسافة العودة

تتكشّف الرواية عن فصول ومحطات شكّلت سيرة بطل فلسطيني. تعرض لحكاية اختفاء «الطاهر» (ظاهر وشحة عمّ الشهيد) الذي ازداد بصره وضوحاً بعدما فقد عينه اليمنى بسبب مخلفات متفجرة من الاكتداب البريطاني. وبعدما فُقد أثره منتقلاً بين الدول العربية، صار حكاية عابرة للحدود. والسيرة باستعادتها لهذه الحكاية، تتخطى تاريخ النكبة إلى مقدماتها، عائدة إلى زمن الانتداب، والنص في تنقّله بين محطات الفقد ومقاومته والقهر ومواجهته، يعبر حقباً زمنية تشكّل معاً سيرة شعب. هكذا، تظهر سيرة فادي كمقطع زمني مكثّف اقتطع من زمن أوسع وأطول هو زمن تغريبة الفلسطينيين المقترب نحو عودتهم. ثمّ يعرّج النص على قصة اغتيال كلب العائلة الوفي «يومر» الذي قتله جنود الاحتلال في حملتهم لإبادة الكلاب التي كانت تنبّه بنباحها شباب المقاومة باقتراب دوريّات الاحتلال، مروراً بزمن أوسلو فاضحاً أشكال الخيانة والانتفاضة الثانية وتفشّي جائحة كورونا... من دون أن ينسى تجارب «الزمن الموازي» في السجون، ومراحل التحقيق، ولؤم المحقق الذي أوهم فادي بأن معتز ما زال على قيد الحياة، وحنكة فادي وشجاعته في وجه السجّان، وشكل الخيانة في السجون المتجسّدة في «غرف العصافير» ورفض الشهيد لهذا الاسم. إذ يرى أنّ العصفور رمز للحرية وليس رمزاً للخيانة والنذالة، مقترحاً اسم «غرف الدبابير»، إلى أن نال رصاص الغدر من روح فادي مقدماً غير مدبر، أثناء مشاركته في الاحتجاجات الجماهيرية نصرةً للقدس والشيخ جراح وغزة زمن «سيف القدس»، بعد إصابته بتاريخ 15 أيّار (مايو) 2021 في ذكرى النكبة الفلسطينية، أمضى فادي في مستشفى رام الله الحكومي 18 يوماً قبل أن يرتقي، مقفلاً سيرة بطل حاز المجد من أطرافه جريحاً وأسيراً وطريداً وجريحاً وشهيداً. شيّعته فلسطين وجامعته وبلدته في بيرزيت، وهتف الأصدقاء وهم يحملون جسده الطاهر معانقاً بارودة «يابو النور وينك وينك... هيّو فادي يكسر عينك» و«يا أم الشهيد نيّالك يا ريت أمّي بدالك» و«يباب الأقصى من حديد ما بيفتحه إلّا الشهيد». قبلته أمّه واشتمته ملء وجعها، وحنّت يديه، ورثته بترويدة الموت الفلسطيني: «طلّت البارودة والسبع ما طل، يابوز البارودة من دمه منبل». وكتب رامي شقيق الشهيد راثياً: «ولكننا مصابون بحب هذه البلاد، نحبها ولو كانت خراباً، نقدم دماءنا وأرواحنا فداءً. نزف إليكم أخي المقاتل فادي وشحة ونحتسبه عند الله شهيداً». دُفن الشهيد بجوار صديق طفولته ورفيق نضاله الشهيد معتز وشحة، تنفيذاً لوصيّة كان قد باح بها لأخيه، لتنتهي سيرة صاحب «المسافة صفر»، وقد احتضنته تراب أرضه ليس بينهما مسافة.

«المسافة صفر» الغزاوية تخلّد ابن بيرزيت

إنّ انعدام التكافؤ في العدّة والعتاد بين الشعوب المقهورة ومستعمريها، جعل من مسافة صفر طبيعةً أساسيةً لأشكال نضالهم وقتالهم. نجحت المسافة صفر دائماً في إظهار شجاعة المقهور الذي يحمل روحه على راحته ويلقي بها في مهاوي الردى، في مواجهة جبن القاهر المختبئ خلف ترسانته المدججة. وقد أعاد «طوفان الأقصى» الاعتبار للمسافة صفر، لتصبح رمزاً عالمياً للنضال المستميت نحو الحرية والتحرير. وإن كانت رانية وشحة سعت في روايتها التي نشرت قبل «طوفان الأقصى» إلى تخليد ذكرى أخيها البطل، فها هي المسافة صفر الغزاوية ترفع ذكراه عنان السماء، وهو الذي ارتقى في الضفّة الغربية في معمعان معركة «سيف القدس» التي انطلقت من غزّة. وإن كان هناك من حفظ وصيّته الفردية فدفنه إلى جوار رفيق دربه، فهناك من سيحفظ وصيّته الجمعية ويستكمل مسيرة استعادة فلسطين متسلّحاً بالمسافة صفر وأسرارها.

طوفان الأقصى

يُتم وعَراء سياسي في الضفة... ونذير الطوفان

قسّم الحاجّ *

منذ السابع من أكتوبر الماضي وتزداد دعوات التلاحم مع الفلسطينيين في غزة خاصة، وفي مختلف أماكن المواجهة في السجون وخارجها. إلا أنّ هذه الدعوات والتحركات الميدانية تتالى في غياب كامل للحراك السياسي الرسمي الفلسطيني، الذي قد أصبح مادة للتفجّع الفلسطيني وليس خيبة الأمل، إذ لا أمل في السلطة الرسمية وأحزابها حتى يُصاب الشعب بخيبتها. إلا أنّ هذه الدعوات تترافق مع عمق الشعور بالـيُتم السياسي وبعراء المجتمع الفلسطيني في الضفة، الذي يعاني من شح وضعف إمكانات مقاومة «منظمة» على مستوى الردع العسكري كالتي في غزة، وخصوصاً في ظل ملاحقة عميقة لكل إمكانات المقاومة في شمال الضفة وأنحاء أخرى فيها واستنزافها، على أهمية فعلها وتنظيمها واستمراريتها في إمكانات الواقع.

استعادة الانتفاضة الأولى وغياب شروطها

تحاكي تظاهرات الإسناد والتحركات في الضفة الغربية بشكل أو بآخر لحظة انتفاضة عام 1987، في ظل تغييب للشروط الاجتماعية السياسية والمجتمعية التي خلقت لحظتها، بما تشتمل عليه من الشعور المجتمعي الجمعي بالضرورة الطارئة والملحّة لتنظيم المجتمع بنفسه، التي تحولت لاحقاً إلى مركب جوهري وأساسي لمشهد الانتفاضة نفسه.

تتمثّل أشكال الاستعادة اللاواعية للحظة انتفاضة الحجارة اليوم في أشكال عدة تتبدّى مثلاً في استدعاء لحظة الانتفاضة الأولى كمرشد استدلالي عند النقاش المجتمعي أو نقاش الجماعات في الشكل الأفضل للتلاحم بالميدان، ومحاولة إسقاط شكل النشاط والحراك والانتفاض المجتمعي الذي كان متناسباً في عام 1987 مع أشكال التحركات اليوم، كالدعوة المتواترة إلى الإضرابات على مستوى السوق الفلسطيني سواء على صعد المؤسسات أو في الجامعات والمدارس، التي تترافق مع ضعف في التحشيد الشعبي اللازم لحشد الميادين والشوارع.

وعلى الرغم ممّا للإضرابات من أهمية على مستوى التعاضد النفسي، إلا أنّ سياقاته المادية اليوم تختلف عن حالة الإضرابات التي غلبت طابع المقاومة المجتمعية في انتفاضة عام 1987، حين كانت الإضرابات تضرّ بشكل أساسي المشغل «الإسرائيلي» و«السوق الإسرائيلية». وعلى الرغم من تعقيد وتبعية الحالة الاقتصادية الفلسطينية للسوق الإسرائيلية، إلا أنّ تكثيف حالة الإضراب في الضفة الغربية اليوم يفقد معناه وزخمه المادي الذي كان مكثفاً في انتفاضة الحجارة.

يُضاف إلى ذلك تكثيف الدعوات لتنظيم خلايا التعليم الشعبية أسوة بما كان قائماً في انتفاضة الحجارة حين أغلقت سلطات الاحتلال الجامعات والمدارس. لكن هذه المرة علّقت الجامعات في معظمها التعليم الوجاهي بقرارات ذات طابع مركب، مردّها، تارة، إلى السلطة الرسمية، إذ لا تغيب التحليلات عن قصدية هذا القرار لاحتواء حالة الانفجار المحتملة في الضفة الغربية، وطوراً إلى مجالس الطلبة أنفسهم، تحت شعار طارئ وعاطفي ينصّ على أنّ «لا تعليم وغزة تُباد». يترافق ذلك مع غياب منهجية واضحة للتعبئة الفكرية لطلاب الجامعات في غياب التواصل المباشر معهم، وهي من أهم مهام الجامعة الوطنية، وخصوصاً في سياق استعماري وسياق حرب طاحنة. ويأتي ذلك رغم ما قامت به نقابة الأساتذة والعاملين في جامعة بيرزيت، ولا نبالغ إن قلنا حصراً بين نقابات الوطن، من محاولة للتغلب على حالة تجميد التعليم وطرح خطط بديلة للتعليم المواكب للحالة السياسية وتركيزها على إحياء حيّز الجامعة، كحيّز مكاني ومعرفي وسياسي.

لكن الدعوات إلى التعليم الشعبي في الحرب، من ناحية المنهج والأداء، لم تغادر تصوّر ومخيّلة التعليم الشعبي في الانتفاضة الأولى كلحظة تاريخية. كما أن الاجتماعات والمشاورات التي بحثت في شأن «ماذا نعلّم؟» و«كيف نتعلّم» و«ما دورنا» على أهميتها من أسئلة، اتخذت وقتاً أطول مما يلزم للتنفيذ بما لا يتناسب مع حالة حرب طاحنة كهذه. أمر انعكس على بطء وضعف نسبي في الأداء على أرض الواقع. وهذا ربما يقودنا إلى نقد حالة انتفاضة عام 1987 التي اتخذت في مخيلة الفلسطينيين وأذهانهم طابعاً رومانسياً إلى حدّ ما، إلى درجة تغييب النقد عن مجريات وأحداث الانتفاضة التي أحيلت مآلاتها في مباحثات مؤتمر مدريد 1990 واتفاقية أوسلو في عام 1993. وهو ما يصفه الأسير مصطفى مرعي بأنه، أي اتفاق أوسلو، «قطع الطريق على انتفاضة متدحرجة ومتصاعدة وواعدة، وهذا ما ينقص من نقد للتجربة التاريخية الفلسطينية».

أما الدور الاجتماعي اليوم، فيقتصر على تحركات شعبية (متفرقة نسبياً لكن قوّتها تكمن في ذاتها لا في عوامل خارجية وهذه ما زالت في طور التشكل والنمو). يحاذي ذلك غياب بنية اجتماعية قوية وتحركات اجتماعية ذات قاعدة جماهيرية، وقاعدة حزبية شعبية مدعومة من قبل قياداتها ليُحال دورها وغايتها إلى تنظيم «مسيرة» كهدف، بعدما كانت وسيلة. ويترافق ذلك مع تحييد دور مؤسسات المجتمع المدني ككتلة تاريخية بتعبيرات غرامشي، تصيغ العلاقة الفاعلة بين مؤسسات المجتمع المدني «البنية التحتية للدولة» كي تقوم بالدور البديل، لدور المؤسسة الرسمية الغائبة/ البنية الفوقية.

ذاكرة الأسى وتعليق زمن انتفاضة الأقصى

أجادل أنّ المشهد السياسي المجتمعي في الضفة الغربية في التعامل مع الحرب على غزة، يهدر المقاربة السياسية والتاريخية مع حدث انتفاضة الأقصى 2000 ويلتحم أكثر في استعادة حدث انتفاضة الحجارة، رغم أنّ الانتفاضة المسلّحة هي الحدث الأكثر ارتباطاً من ناحية المنهج والأدوات كردع عسكري لـ «طوفان الأقصى». رغم أنه لا يمكن تجاوز الفروقات الهائلة من ناحية التطور والتقدم العسكري بين كلا الحدثين، فعبور السابع من أكتوبر يسجل تقدماً وتطوراً تاريخياً على صعيد كل المقاومة الفلسطينية، بما في ذلك من تطورات عسكرية متقدمة وقوة دفاعية مستميتة ومدروسة بحنكة. لكنه يدعو إلى التوقف والتفكير في سببية أن يُهدر حدث انتفاضة الأقصى في كل المقاربات الاجتماعية والجماعية التي تدعو إلى النهوض بفعل شعبي ومجتمعي مواكب للحرب على غزة وفعل مقاومتها. وربما في إهدار ذلك تجنب لا واع بالضرورة لاستدعاء إجهاض لحظة حسم عسكري تاريخية، كانتفاضة الأقصى المسلحة، التي على أهميتها، قد انتهت بسجن القيادات والكوادر من الأحزاب الفلسطينية والأفراد الذين قامت الانتفاضة على أكتافهم ونفْي بعضهم، واغتيال الشهيد ياسر عرفات ثم تفكيك أجهزة الكتائب العسكرية خاصة كتائب شهداء الأقصى، والبدء بمرحلة جديدة تاريخياً تنطبع بكونها مرحلة السلطة وبناءها و«خرائط طريقها».

السلطة الفلسطينية كحدث مألوف

تعيش السلطة الفلسطينية اليوم حالة من الفوضى والتوتر والمراقبة يردفها فقدان عميق للثقة وانفصال حاد بين الشعب والطبقة الحاكمة، وبين الأحزاب وقاعدتها الجماهيرية، وأجهزة السلطة نفسها. لكنها تراوغ مع الشعب. من هذه المراوغات أنها، لا تمنع التظاهرات والمسيرات إسناداً لغزة، لكنها تؤطر ساحة المظاهرة والمسيرة، إذ ترسم مسارها المسموح، حول «دوار المنارة» حصراً، وإن امتدت المسيرة مثلاً نحو مربع المقاطعة، فإنها أعدّت للشعب، قوات مكافحة الشغب. وإمعاناً في المراوغة مع الشعب، فإنها تعمل على «احتواء حيز المسيرة» حيث تسمح، برفع أعلام حركة «حماس» في قلب رام الله، من دون مصادرتها، وهو ما كان يواجه بعنف في فترات سابقة. كما لا تقمع الهتاف لشخصيات عينية في صفوف «حركة المقاومة الإسلامية- حماس»، كالضيف والعاروري رغم أنها تدعو إلى تسلّم «حماس» سدة الحكم في الضفة أو إلى قيادة جبهة المقاومة. ومن ذلك هتاف يتكرر في المسيرات: «حط السيف قبل السيف/ واحنا رجال محمد ضيف»، و«يللي معك بارودة ومخبيها للأعراس/ يا بتطخ الصهيوني يا بتعطيها لحماس». وكذلك بعض الهتافات الوحدوية لقادة المقاومة: «والضفة بدها مروان مع صالح العاروري».

من ناحية أخرى، شابَ بعض المسيرات حالة من التنافسية على الهتاف بين الأفراد (في معظمهم من أعمار صغيرة)، كما لو كان الهتاف هدفاً بحدّ ذاته لا وسيلة، بما يخلق جواً مشحوناً داخل المسيرة. وربما يُقرأ ذلك في سياق العفوية وعدم التنظيم وحماسة الشباب، كالهتاف الذي ينتقد حالة الركود في المدينة التي هي مقر قيادات السلطة والأحزاب السياسية، بعدما كانت بؤرة من بؤر المواجهة في انتفاضة الأقصى: «مالك رام الله مالك/ ملك شو اللي جرالك؟». وقد تُقرأ، كذلك الحال، في سياق محاولات «جهات» معينة «إعطاب» أو «تخريب» للمسيرة من داخلها، وليس بطريقة فجة وصدامية، بل بخلق حالة من التوتر الذي قد يبدو عفوياً. أمر أثر سلباً على حشد الناس في المسيرات وامتناع بعضهم عن المشاركة.

وعلى صعيد الذراع الأمني للسلطة والتوترات البنيوية فيه، نسجّل هنا انتشار خبر على قنوات التليغرام يتعلق بإعلان مجموعة من ضباط الأجهزة الأمنية سمّت نفسها «أبناء أبو جندل» حالة التمرد على السلطة والتوقف عن تلقي وتنفيذ التعليمات والأوامر والخروج عنها ما لم يعلن رئيس السلطة الفلسطينية حالة المواجهة المفتوحة مع العدو بكل الوسائل. وقد انتشر الخبر سريعاً واختفى سريعاً، وينصّ على إعلان مجموعة ضباط الأجهزة الأمنية الذي أطلقوا على أنفسهم لقب «أبناء أبو جندل»، إمهالَهم الرئيس الفلسطيني 24 ساعة لإعلان حالة المواجهة المفتوحة، وإلا فسيعلنون العصيان والتمرد على أوامر أجهزتهم. وما إن انتشر الخبر حتى أعلن عدد منهم أنّه مفبرك لا أساس له من الصحة. وحتى إن كان الخبر إشاعة، إلا أنّ المرء يتوقف أمام حالة الذعر التي بثّها هذا الخبر.

وإمعاناً في حالة الانفكاك الحادة بين الشعب و«السلطة» الفلسطينية، هو تعميق الشرخ «السياسي» بين سلطتين لشعبين، هما شعب غزة وشعب الضفة الغربية. أمر ينعكس بشكل صفيق في الصمت المطبق للسلطة الفلسطينية حول اتخاذ أي موقف علني وواضح ومؤثر لإسناد «الشعب» الفلسطيني في غزة. كما ينعكس في السيناريوات التي تنخرط بها السلطة الفلسطينية في مباحثات «اليوم التالي للحرب»، وخطابات «محاسبة حماس» وشروط ضم «حماس» إلى «منظمة التحرير الفلسطينية» التي انتهى دورها الجوهري «بالتحرير» منذ زمن. وكذلك الحال مع خطابات التهديد المبطنة للشعب، عبر التلويح بقطع الرواتب تحت ذريعة رفض السلطة الفلسطينية تسلّم المقاصة من دون رواتب غزة، ودعوة الناس إلى التوجه إلى زراعة الأرض كما لو كان ذلك حلاً ممكناً لم يخطر في بال أحد قبلاً. كما أنّ هذا الخيار لم يهدر أمام الشعب عن طريق حرب مصادرة مساحات كبيرة من الأراضي الفلسطينية سواء عن طريق استيلاء المستوطنين عليها أو عن طريق تكبيد المزارع الفلسطيني خسائر فادحة أمام شروط ما يزرع في أرضه وإلى أي الأسواق يصدّرها، عدا عن منافسة السوق الإسرائيلية للمزارع الفلسطيني. وهذا مرده إلى تبعية السوق الفلسطينية للسوق المعادية (الإسرائيلية) كما في بروتوكول باريس الاقتصادي- الملحق الاقتصادي لأوسلو، وكل المنظومات الثقافية التابعة، من قبيل منظومة الرفاه والسعي لبناء مشاريع استثمارية على أراضي الفلاحين، وغيرها من ممارسات أفقدت الفلاح الأرض.

إن حدث عبور أكتوبر، كحدث استثنائي وناضج على صعيد المقاومة الفلسطينية، يتطلب أن يكون هناك أحداث مساندة ورديفة ترقى إلى مستوى الحدث. فالحدث المستجد يستدعي أدوات خلّاقة للتعامل معه ومواكبته وإسناده، ولن تجدي الأدوات القديمة التي كانت تصلح لزمن مختلف. وعلى أهمية ما للتراكم التاريخي في تجربة المقاومة الفلسطينية، إلا أن حدث عبور أكتوبر يضع المقاومة الفلسطينية نفسها والتحركات الشعبية والمجتمعية الداعمة في تحدٍ يتمثّل في أن يشتمل المستقبل على أدوات تعامل خلّاقة مع الواقع الفلسطيني-الاستعماري المستجد. وبذا فالحراك الشعبي بعد 7 أكتوبر، حتى الآن، وعلى أهميته، يفتقد إلى التجربة التاريخية القابلة للمحاكاة ويعجز نسبياً وحتى اللحظة عن خلق تجربة موازية للحدث.

* محاضرة في «جامعة بيرزيت». فلسطين المحتلة

«عبور أكتوبر» يتطلب أن تكون هناك أحداث مساندة ورديفة ترقى إلى مستواه

Samedi 20 Janviér 2024 no97
السبت 20 كانون الثاني 2024 العدد 97

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

تجنّب الوقوع في فخّ استخبارات العدو [2]

فاقد الاحترام = respektlos. من خلال دفاعها عن اسرائيل امام محكمة العدل الدولية أثبتت الحكومة الالمانية أنها لا تحترم مبادئ القانون الدولي ولا تحترم قيمة الف البشر الذين استشهدوا في غزة

المانيا في محكمة العدل الدولية

RESPEKTLOS

[3]

جرائم الاحتلال

الإسرائيلي يستخدم الاتصالات والإنترنت ويبتكر أساليب متطوّرة

تجنّب الوقوع في فخّ استخبارات العدو

في موازاة الحرب العسكرية الدائرة في غزّة وجنوب لبنان، تستعر جبهات أخرى لا تقل أهمية من الناحية الامنية. يستخدم فيها العدو الإسرائيلي قدراته التقنية والتكنولوجية خدمة لاهدافه الاستخباراتية لمساندة جبهته العسكرية. اسئلة كثيرة تتعلق بالمعركة الاستخباراتية التي يقوم بها العدو الإسرائيلي عبر وحداته الخاصة في الحرب القائمة. ما هي ادواتها وساحة عملها؟ وكيف نتجنّب ان نكون شركاء فيها. ونقدم خدمة مجانية للعدو؟ «القوس» وجهت هذه الاسئلة إلى رئيس لجنة الخبراء الفنيّين والرقميين في شبكة التحول والحوكمة الرقمية في لبنان د. جمال مسلماني. وهو استشاري متخصص بالامن السيبراني والذكاء الاصطناعي وحلول التكنولوجيا. وقدم مسلماني معلومات يمكن الاستفادة منها لتجنّب الوقوع في فخّ استخبارات العدو

فاطمة خشاب درويش

يعتمد العدو الإسرائيلي في عمليات جمع المعلومات المختلفة على الاستعلام والاستخبار من كل المصادر الاستخباراتية، منها: مصادر الاستخبارات المفتوحة (open source intelligence)، التي تطال مواقع التواصل الاجتماعي، الهواتف الذكية، كل ما هو متصل بالإنترنت، الصحف، المجلات، دور النشر، مراكز الأبحاث، فيجمع معلوماته منها، ثم يقوم بعمليات جمع تقني لإنشاء بطاقات أهدافه. كما يعتمد على الاستخبارات البشرية (human intelligence) التي ترتكز على المعلومات التي يحصّلها عبر عملائه وعلاقاته الدبلوماسية والتجارية وغيرها، ليعمل عبرها على جمع معلومات حول مختلف الجوانب التكنولوجية والجغرافية والديموغرافية وكل ما يتصل بالعوالم البشرية.

الحرب الاستخباراتية مستمرة

يواصل العدو الإسرائيلي عمليات جمع المعلومات في حالتَي السلم والحرب، وهي تزداد في الحرب نتيجة حاجته الملحة إلى أي معلومة ولو كانت صغيرة من أجل استكمال بطاقات أهدافه، ويستنفر كل طاقاته للقيام بأكبر عدد من عمليات الاستعلام الاستخباراتية.

تتفاوت وتيرة العمليات الاستخباراتية بين مرحلة السلم والحرب. ذروة عملية جمع المعلومات تكون في حالة السلم، فيعمل العدو على جمع مكثف للمعلومات بشكل بها بنك أهدافه البشرية، بنك الأهداف الإستراتيجية والحيوية، في جانب بنك الاغتيالات. وهو يعمل على تشكيل بطاقات الأهداف عبر عدة وسائل، ولطالما كانت الطائرات الاستطلاعية والمسيرات تقوم بهذا الدور.

أما في حالة الحرب اليوم، وبعد استهداف المقاومة الإسلامية للكاميرات وأبراج المراقبة على الحدود، وخصوصاً قاعدة ميرون للمراقبة الجوية، لم يعد العدو قادراً على القيام بحركته الاستطلاعية والاستخباراتية كما كان يفعل سابقاً، وقد أصيب بخسارة كبيرة على مستوى حركته الاستخباراتية التجسسية، لذا يعتمد على الفضاء الإلكتروني وعلى شبكة عملائه لتحصيل المعلومات التي تساعده في زيادة بنك أهدافه، بحسب الأولويات وبحسب الخطوط وقواعد الاشتباك التي تفرضها المعركة.

«ابو لمبة» لا يطمئن

الهواتف الخليوية سواء كانت ذكية أم لا قابلة للاختراق الأمني. هناك مفهوم خاطئ بأن استخدام الهاتف غير الذكي المعروف بـ«أبو لمبة» يجعل مستخدمه في مأمن من الاختراق، وبالتالي لا يستطيع العدو التنصت عليه أو حتى تحديد مكانه. والواقع أن التقنية التي تعمل عبرها الأجهزة الخليوية عموماً (GSM)، تفترض وجود جهاز(هاتف) وشريحة (خط). وبمجرد توافر هذين العنصرين يصبح الجهاز موصولاً على الشبكة الخليوية، وبالتالي تصبح هناك إمكانية لاختراق الهاتف أياً كان، إذ لا يوجد هاتف أكثر أماناً من آخر، والعدو الإسرائيلي قادر على اختراق أي جهاز، وإن كانت هناك بعض التعقيدات في أنواع محددة من الهواتف، ولكن ليس من الصعب تجاوزها.

اتصال الهاتف الذكي بالإنترنت يسهل عملية الولوج إليه، والعدو يمتلك أجهزة تجسس متطورة أشهرها بيغاسوس (راجع «القوس»، تاريخ 27-5- 2023، بعنوان بيغاسوس: العدو عالسمّع) الذي يتيح للعدو اختراق الهواتف أينما وجدت في العالم عبر تقنية (zeroclick)، وبعمل على تحديد مكان المستخدم والمسار الجغرافي الذي يسلكه عادة.

يمتلك العدو الإسرائيلي بنك معلومات يتضمن أرقاماً للهواتف الموجودة في كل قرية على الحدود اللبنانية، يعلم أسماء أصحاب هذه الأرقام المقيمين في القرى، وأرقام وأسماء الزوار الذين يقصدونها في عطل نهاية الأسبوع فضلاً عن الأرقام التي تعبر بشكل دوري إلى قرى وبلدات الشريط الحدودي. ومنذ بداية الحرب في جنوب لبنان أجرى العدو إحصاءً تضمن أرقام الهواتف التي بقيت في القرى، وهو يعمل على تحديد سبب بقائها، وهل تعود لأشخاص عاديين أم لقياديين في المقاومة، يرصد حركة اتصالاتها ويحدد مسارها الجغرافي بدقة، وأي تواصل مع أشخاص موجودين في القرى الحدودية يقدم خدمة مجانية للعدو.

ويطال اختراق العدو الإلكتروني أي جهاز موصول على الإنترنت سواء كان كاميرات المراقبة، التلفزيونات الذكية، راوتر، ريسيفر، سيارات ذكية، وحتى ألواح الطاقة الشمسية.

بوابة العدو الإسرائيلي

تعتبر مواقع التواصل الاجتماعي بوابة عبور للعدو الإسرائيلي إلى العملاء الذين يعمل على تجنيدهم تحت غطاء منظمات وشركات توظيف برواتب مغرية بالدولار الأميركي، فيسارع الشباب إلى تسجيل أسمائهم وبياناتهم الشخصية على منصات تلك الشركات قبل أن يكتشفوا أنه تم استدراجهم لتقديم معلومات للعدو. كل ما ينشر عبر تطبيق الواتساب أو عبر مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة سواء أكان مكتوباً أو صورة أو حتى مقاطع مصورة يمكن للعدو الإسرائيلي أن يسحبه من الفضاء الرقمي ويضيفه إلى بنك معلوماته، كما يرصد العدو سلوك المستخدمين لمواقع التواصل بشكل يومي ويستطيع أن يحدد المتغيرات التي تحدث ربطاً بمجريات الحرب القائمة.

يعتمد العدو سياسة «الهوفر» التي تقوم على جمع كل المعلومات المتاحة من مختلف التطبيقات والمواقع، ثم تقنية الـ«filtering»، أي تصفية هذه المعلومات بحسب المعلومات التي

> **يبحث العدو عن أي معلومة ولو كانت صغيرة لاستكمال بطاقات أهدافه وهو يستنفر كل طاقاته للقيام بأكبر عدد من عمليات الاستعلام**

على المعلومة مهما كانت «تافهة» بالنسبة إلينا، إذ يعتبرها جزءاً أساسياً ومهماً لاستكمال المشهد الاستخباراتي الذي يعمل على تجميعه من عدة مصادر وجهات، هو يحتاج هذه المعلومة على صغرها من أجل اكتمال الصورة لديه.

للأسف، أحياناً نساعد العدو عبر نشر معلومات وتفاصيل يكون لها دور في عملية استهداف أو اغتيال وربما تفجير أو قصف. فالصورة التي ننشرها يستطيع العدو أن يحدد تفاصيلها عبر الذكاء الاصطناعي ويشخّص موقعها بالتفصيل، وتكون قد ساعدنا العدو تحت عنوان «السبق الصحفي» بتحقيق اهدافه العسكرية.

خدعة الحسابات الوهمية

تنشط الحسابات الوهمية للعدو على مواقع التواصل الاجتماعي بهدف تحصيل معلومات تتعلق بأهداف محددة، فتارة يعمل على تنزيل صور عبر هذه الحسابات بهدف خلق نقاش حولها، كأن يقول أن هذه الصورة في بلدة عيتا الشعب على سبيل المثال وهي في الحقيقة في بلدة مركبا، من أجل حث المتابعين على تأكيد أو نفي المعلومة وتقديم معلومات دقيقة عن هذه القرية أو تلك.

كما ينشر العدو صوراً يزعم أنّها لشهيد معيّن والهدف من ذلك التحقق من اسم الشخص الحقيقي ليس إلا، ولا يكون في أغلب الأحيان شهيداً بل هو أحد شباب المقاومة الذين يتعقبهم ويريد معلومات إضافية عنهم وعن أي شخص قريب لهم، وعندما نعمل على تصحيح المعلومة عبر مواقع التواصل باعتبار أننا نعرف من هو، نقدم خدمة مجانية للعدو.

نشر الأخبار المزيفة

يعمد العدو الإسرائيلي إلى نشر أخبار كاذبة ومضللة على مواقع التواصل الاجتماعي للتعتيم على حقيقة ما يجري في الجبهة، وإلهاء من يسارعون إلى تناقلها من دون التأكد من صحتها الأمر الذي قد يحدث بلبلة بين الناس ويتناقض مع رواية المقاومة.

كما يبث العدو عبر عملائه أو صفحاته المشبوهة أو حساباته الوهمية أخباراً مزيفة عن استهداف قياديين في المقاومة الإسلامية، ويكون الهدف من ذلك رصد حركة الاتصالات الأكثر تداولاً في تلك اللحظة وتحليلها ومعرفة مصادرها في هذا التوقيت بالذات، في أي منطقة تركزت الاتصالات، ما هي الأرقام التي بادرت بالاتصال؟ ما هي الأرقام التي ورد إليها العدد الأكبر من الاتصالات، وبنتيجة التحليل لحركة الاتصالات يرجح إما أن يكون صاحب الرقم هو الشخص المعني بالخبر أو له علاقة متينة معه أو قرابة به، لذا فإن المسارعة في الاتصال أو زيارة الأشخاص المقربين من الشخصية التي يرتبط بها الخبر يكون أيضاً خدمة مجانية للعدو، تسهل عليه الوصول إليهم في ما بعد، لأن العدو لديه القدرة ليس فقط على رصد وتحليل حركة الاتصالات الخليوية وإنما أيضاً تحديد المسار الجغرافي الذي قد يسلكه أصحاب هذه الأرقام مباشرة بعد الإعلان عن الخبر.

وجه آخر للخروقات

نموذج آخر للخروقات الأمنية يتجسد بوجود البيانات الشخصية للبنانيين عند عدد من المنظمات الدولية التي تقدم المساعدات الاستشفائية والاجتماعية لعدد من الأجهزة الأمنية. هذه المعلومات التي يفترض أن تكون فقط عند الدولة اللبنانية وليس عند العديد من الدول، ليست بعيدة عن متناول أجهزة استخبارات العدو الإسرائيلي الذي يحوز داتا الاتصالات اللبنانية، ماذا عن داتا الأحوال الشخصية، داتا المركبات والسيارات، الداتا العقارية، داتا الدعاوى القضائية وبيانات وزارة الصحة، هل هي بمنأى عن العدو الإسرائيلي؟

الدولة مخترقة أيضاً

في ظل عدم وجود بنية رقمية متينة تؤمن الحماية السيبرانية للأفراد وأجهزة الدولة، باتت الدولة كما الأفراد عرضة للاختراقات السيبرانية، وما حصل في مطار رفيق الحريري الدولي منذ أيام خير شاهد على ذلك، والعدو الإسرائيلي الذي يجمع معلوماته من الناس العاديين، يجمع أيضاً معلوماته من الإدارات والهيئات الرسمية وغيرها، لذا لا بد من العمل على إصدار المراسيم التطبيقية للهيئة الوطنية للأمن السيبراني التي تشكلت عام 2018 وحتى اليوم لا توجد مراسيم تطبيقية لها.

تقديم شكوى

يفترض من الدولة اللبنانية ومن وزارة الاتصالات تحديداً أن تتقدم بشكوى إلى الاتحاد الدولي للاتصالات (ITU) تتضمن الخروقات التي طالت الاتصالات في لبنان، وقيام العدو الإسرائيلي بانتحال صفة جهات رسمية خلال تواصلها مع الناس لتحصيل معلومات كقوى الأمن، الصليب الأحمر، الجيش اللبناني وعدد من الجمعيات الخيرية وغيرها. كما إن لجنة الاتصالات النيابية يفترض أن تأخذ دورها في هذا الإطار وترفع توصياتها، وتطالب بالإسراع في إقرار المراسيم التطبيقية التي لها علاقة بالأمن السيبراني.

ألمانيا تدافع عن إسرائيل أمام محكمة العدل الدولية

respektlos

عمر نشابة

في 10 كانون الثاني 2024، قبل يوم واحد من بدء جلسات الاستماع في محكمة العدل الدولية بشأن طلب جنوب افريقيا اصدار امر قضائي بوقف اطلاق النار في غزة (كتدبير مؤقت)، دافعت وزيرة خارجية المانيا أنالينا بيربوك بوقاحة لافتة عن «إسرائيل»، في مؤتمر صحافي عقدته في بيروت. علماً أن منظمات الأمم المتحدة نشرت عشرات التقارير الرسمية منذ 7 تشرين الأول 2023 تشير الى آلاف الأطفال والنساء، والشيوخ الذين قتلهم الجيش الإسرائيلي في البيوت ومدارس الانروا ومستشفيات غزّة.

الوزيرة الألمانية التي أتت الى بيروت لتهديد اللبنانيين ومحاولة ترهيبهم من هجوم إسرائيلي رداً على عمل المقاومة في الجنوب قالت: «بحكم التعريف، تتطلب الإبادة الجماعية نية التدمير، كلّيًا أو جزئيًا، لأفراد مجموعة قومية أو إثنية أو عنصرية أو دينية بسبب انتمائهم إلى هذه المجموعة. لا أستطيع أن أرى هذه النية في دفاع إسرائيل عن نفسها ضد منظمة حماس الإرهابية المسلحة».

أما نائب المستشار الألماني والوزير الاتحادي للشؤون الاقتصادية والمناخ، روبرت هابيك فحاول ان يقلب الموضوع رأساً على عقب من خلال توجيه تهمة الإبادة الجماعية الى حركة المقاومة الإسلامية - حماس. إذ قال خلال زيارته الى القدس المحتلّة: «أجندتهم (حماس) هي القضاء على دولة إسرائيل. لذا ان شعار من النهر إلى البحر لا يعني أن اليهود يجب أن يغادروا إسرائيل بالقوارب، بل يجب إبادتهم. إن اتهام إسرائيل بالإبادة الجماعية هو انقلاب كامل على الضحايا».

وبعد أقل من ساعتين من تقديم المحامين المدافعين عن «إسرائيل» مرافعاتهم الدفاعية أمام محكمة العدل الدولية، في 12 كانون الثاني، أصدرت الحكومة الالمانية بياناً أعلنت فيه رسمياً عزمها التدخل في المحكمة دفاعاً عن «إسرائيل» (يحق للدول التدخل عملاً بالمادة 63 من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية). كما أصدر المتحدث الرسمي باسم مجلس الوزراء الألماني بياناً صحافياً، كتب في نسخته الأولى عنواناً تضمن خطأ قد يدل الى استعجال وارباك. فجاء في عنوان البيان الرسمي في نسخته الأولى «الإجراءات المتخذة في المحكمة الجنائية الدولية» بينما طالب مبتدئ في القانون الدولي يعلم أن محكمة العدل الدولية ليست محكمة جنائية وان الإجراءات والاختصاص يختلفان في كل من المحكمتين.

تضمن البيان الألماني تشويها للحقائق قد يدل الى حقد دفين ضد العرب والمسلمين بشكل عام والفلسطينيين بشكل خاص: «في 7 تشرين الاول 2023، هاجم إرهابيو حماس بوحشية وعذيوا وقتلوا واختطفوا الأبرياء في إسرائيل. هدف حماس هو محو إسرائيل. ومنذ ذلك الحين، تدافع إسرائيل عن نفسها ضد الهجوم اللاإنساني الذي تشنه حماس». وذهب المسؤولون الالمان الى ابعد من ذلك في دفاعهم المستميت عن الاجرام الإسرائيلي، فأوضح السفير الألماني لدى الولايات المتحدة مثلاً أن التدخل الألماني في محكمة العدل الدولية سيكون بمثابة تدخل «نيابة عن إسرائيل»، علماً أن نظام المحكمة لا يسمح بذلك.

وبدا للبروفسور شتيفان تالمون (مدير معهد القانون الدولي في جامعة بون) أن الحكومة الفيدرالية الألمانية أخطأت عندما قالت «إننا نقف إلى جانب إسرائيل كطرف ثالث في هذه الإجراءات و...(سوف) ندافع عنها». اذ تقتصر التدخلات بموجب المادة 63 من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية على الملاحظات بشأن أحكام اتفاقية محددة في قضية محدّدة ولا يحق للدولة المتدخلة تناول الأسس الموضوعية للقضية أو الإشارة إليها. ولا يجوز تناول مسائل مثل وجود نزاع بين الأطراف أو الأدلة أو الوقائع. وبالتالي لن يُسمح لألمانيا بالادعاء، بأن إسرائيل لم تكن لديها نية الإبادة الجماعية أو أن بعض تصريحات المسؤولين الإسرائيليين لم تكن تشير إلى نية الإبادة الجماعية. كل ما تستطيع المانيا معالجته بحسب البروفسور تالمون هو كيف يمكن للمحكمة، بشكل عام، إثبات نية الإبادة الجماعية أو كيفية تفسير أحكام معينة في اتفاقية الإبادة الجماعية.

تلاعب بالعدالة وازدواجية معايير

تحركت الحكومة الألمانية بسرعة للدفاع عن «إسرائيل» كما ذكرنا آنفاً، وأعلنت عن تدخلها في محكمة العدل الدولية بعد أقل من ساعتين من انتهاء تقديم المحامين المدافعين عن «إسرائيل» مرافعاتهم الدفاعية. واللافت ان المانيا لم تتحرك بهذه السرعة الفائقة ضد روسيا في قضية أوكرانيا أمام المحكمة نفسها مثلاً. اذ أعلنت المانيا رسمياً عن تدخلها في هذه القضية لأول مرة في 20 أيار 2022، أي بعد مرور ثلاثة وثمانين يومًا على بدء الإجراءات من قبل أوكرانيا وخمسة وستين يومًا بعد إصدار المحكمة قرار بشأن التدابير المؤقتة. وعندما أعلنت ألمانيا نيتها التدخل دفاعاً عن اوكرانيا، لم تفعل ذلك بمفردها كما تفعل اليوم دفاعاً عن «إسرائيل»، بل في بيان مشترك مع أربعين دولة أخرى والاتحاد الأوروبي.

أما في قضية ميانمار المحالة الى محكمة العدل الدولية، فقد أعلنت الحكومة الألمانية عزمها التدخل في الإجراءات في 25 أب 2022 أي بعد مرور ثلاث سنوات على الإجراءات وبعد اصدار المحكمة قرارين بشأن التدابير المؤقتة. وفي هذه القضية ايضاً تدخلت ألمانيا بالاشتراك مع خمس دول أخرى.

ويشير البروفسور تالمون في تقرير نشره الاثنين الفائت الى تناقض واضح بين الحجج القانونية التي قدمتها ألمانيا في تحديد أهمية اثبات النية الجرمية لتحديد الإجراءات المؤقتة في قضية الإبادة الجماعية بحق الروهينغا من جهة وفي قضية الإبادة الجماعية بحق الفلسطينيين من الجهة المقابلة.

تزعم الحكومة الألمانية بأن اثبات النية الجرمية مطلوب لاتخاذ المحكمة في لاهاي إجراءات بحق «إسرائيل»، أما في قضية الروهينغا، فكانت الحكومة الالمانية قد اعلنت أن «القتل على نطاق واسع لأعضاء المجموعة هو المظهر الأكثر وضوحاً لنية تدمير المجموعة كلياً أو جزئياً». واضافت الحكومة الألمانية أن استهداف الأطفال لعب دوراً محورياً في تحديد النية. وذكرت أن «الأدلة المتعلقة بالضرر الذي لحق بالأطفال قد تساهم في الاستنتاج بأن الجناة كانوا يعتزمون تدمير جزء كبير من المجموعة المحمية». وفي ما يتعلق بالجانب الإجرائي المتعلق بإثبات نية الإبادة الجماعية، قالت الحكومة الألمانية إن التقارير الصادرة عن الأمم المتحدة لها «قيمة ثبوتية خاصة في تحديد العناصر المطلوبة لإثبات وجود الإبادة الجماعية».

وبالتالي قد يكون مفيداً هنا الإشارة الى بعض التقارير الصادرة عن منظمة الأمم المتحدة بشأن جرائم يمكن تصنيفها قانونياً ضمن جريمة الإبادة الجماعية:

- **اليونيسف:** غزة أخطر مكان في العالم للأطفال.
- **الأونروا:** تقرير رقم 64 حول الوضع في قطاع غزة والضفة الغربية.
- **مكتب حقوق الإنسان:** إسرائيل تعرض نفسها للمسؤولية عن جرائم حرب في غزة.
- الأمين العام للأمم المتحدة: تداعيات الوضع في غزة على الفلسطينيين

وبالتالي يُتوقع ان يزيد توتر الحكومة الألمانية خلال الأسبوع الجاري وتزيد معه الضغوط التي يتولاها كما يبدو القاضي الألماني في هيئة محكمة العدل الدولية غيورغ نولته على زملائه لمنع صدور قرار يلزم «إسرائيل» قانونياً بوقف اطلاق النار. لكن مهمة نولته صعبة في ظل استمرار الجيش الإسرائيلي بقتل المدنيين وموظفي الأمم المتحدة والصحافيين والأطباء والمسعفين وتدمير المستشفيات ومدارس الانروا عمداً. الحكومة الألمانية لا تدافع عن «إسرائيل» وحسب، بل تبرّر المجازر والكارثة الإنسانية في غزة المحاصرة حيث يواجه السكان الموت والجوع الشديد والتهجير القسري في كل انحاء غزة منذ 106 أيام.

علماً ان السلوك الألماني الرسمي بحق الفلسطينيين وسعي المانيا الى تعطيل حق الفلسطينيين باللجوء الى المحاكم الدولية ليس جديداً. إذ ان الحكومة الألمانية هاجمت المحكمة الجنائية الدولية يوم أعلنت أن لديها الاختصاص القضائي للتحقيق في جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية المرتكبة بحق الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة. كما صوتت الحكومة الألمانية ضد عدة قرارات تتعلق بإبادة الاحتلال والممارسات الإسرائيلية وبحق الشعب الفلسطيني بتقرير مصيره في الجمعية العامة للأمم المتحدة.

تنشط بعض الجمعيات والهيئات الثقافية والأكاديمية والفنية الألمانية في لبنان وهي تدعو الى احترام حقوق الانسان والى المساواة بين البشر ونبذ العنف والتطرّف والتعصّب بينما تقوم الحكومة الألمانية التي يخضعون لها بعكس ذلك تماماً. قد يكشف ذلك عن نمط عنصري معروف وسلوك استعلائي يشبه السلوك الذي يعتمده الإسرائيليون، ومفاده أن حقوق الانسان مخصصة لفئة من البشر دون غيرها. ويبدو ان حقوق الانسان بالنسبة للألمان لا تعني الفلسطينيين. والأكيد بالنسبة لهم انها لا ترقى الى حقوق الناجين من معتقلات التعذيب الألمانية في منتصف القرن الماضي.

جرائم الاحتلال

يُعرّف الاستعمار الاستيطاني بانه «الاستيلاء على الارض واستغلال سكانها واقتلاعهم من اراضيهم بالإبادة والتهجير لمن تبقّى منهم، ما يحوّل البلاد التي سيطر عليها إلى أرض جديدة يمارس السيطرة المطلقة عليها من خلال المستوطنين. فالاستيطان هو أن يقوم مستعمرون باستيطان أرض خارج حدود دولهم». ينطبق هذا التعريف على الاستيطان الصهيوني في فلسطين مستخدماً أدوات التهجير القسري والقتل والترهيب وهدم المنازل، وجلب مستوطنين صهاينة للحلول محل أصحاب الارض

«إسرائيل» مستوطنة لا دولة

لونا فرحات

بدأ الاستيطان الصهيوني في فلسطين منذ القرن التاسع عشر، وتحديداً - بحسب الدراسات التاريخية - في عام 1855مع إنشاء أول حي سكني يهودي في مدينة القدس. وتبع ذلك إنشاء يهود من جنسيات أجنبية مختلفة مستوطنات أخرى بين عامي 1860 و1869. وتصاعدت وتيرة بناء المستوطنات بين عامي 1870 و1918، وأخذت المنظمة الصهيونية العالمية على عاتقها كلّ الشؤون المتعلقة بالاستيطان، بعدما وصل عدد المستوطنات إلى 22 عام 1897، وتحت رعاية تيودور هرتزل، وُضع الحجرُ الأساسُ للمشروع الصهيوني واستعمار فلسطين وتوسيع رقعة الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية.

نواة الكيان الصهيوني: مستوطنات ومجازر

سعى الصهاينة منذ بدء مشروعهم الاستيطاني إلى تفريغ فلسطين من سكانها، وهو ما ورد واضحاً في أدبيات الصهاينة بأنه «لا دولة يهودية من دون إخلاء العرب من فلسطين ومصادرة أراضيهم وتسييجها». وينتهج الاستيطان اليهودي فلسفة أساسها الاستيلاء على الأراضي وطرد أصحابها على أسس دينية وتاريخية مزعومة، والترويج لمقولة «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض».

وبعد صدور وعد بلفور عام 1917 ودخول فلسطين تحت الانتداب البريطاني، نشطت المؤسسات الصهيونية، إلى جانب حكومة الانتداب، في تمكين اليهود من السيطرة على مساحات كبيرة من الأراضي الفلسطينية، خصوصاً في المناطق التي اعتُبرت مناطق استراتيجية. فأنشأت مستوطنات في السهل الساحلي بين حيفا (شمال غرب القدس) ويافا غرباً، وتملّكت مساحات كبيرة من القسم الشمالي من فلسطين في سهل الحولة وإلى الجنوب من بحيرة طبرية على طول نهر الأردن وعند مصبه. وفي الفترة بين عامي 1939 و1948، أنشئت 79 مستوطنة على مساحة تجاوزت مليوني دونم. وتولّت العصابات الصهيونية المسلّحة مهمة طرد السكان وارتكاب المجازر لتخويفهم وتهجيرهم. بدأت المجازر الإسرائيلية بحق الفلسطينيين قبل الإعلان عن قيام دولة إسرائيل بنحو 11 عاماً (عندما كان يُفترض أن الفلسطينيين تحت حماية الانتداب البريطاني). خلال هذه الفترة، ارتكبت العصابات الصهيونية كليحي والهاغاناه والبالماخ وشتيرن أكثر من 57 مجزرة ذهب ضحيتها أكثر من 5000 فلسطيني وآلاف الجرحى. ومن بين الـ 57 مجزرة التي سبقت الإعلان عن قيام دولة إسرائيل، 37 مجزرة وقعت عام 1948 فقط. وتحوّلت هذه المنظمات الصهيونية الإجرامية، بقرار من بن غوريون، لتشكّل ما يُعرف بـ«جيش الدفاع الإسرائيلي». أما الهاغاناه فقد شُكل من عناصرها لواء غولاني. هكذا أُسّست ما تُسمى «دولة إسرائيل» التي تعترف بها حالياً 162 دولة من أعضاء الأمم المتحدة!

الاستيطان في اراضي الـ67

يُعتبر الاستيطان أولوية قصوى بهدف تحقيق «يهودية الدولة». لذلك شرع الكيان الصهيوني بإنشاء المستوطنات في الأراضي التي احتلها عام 1967 وهي الضفة الغربية وقطاع غزة. وحتى عام 2022، بلغ عدد المستوطنات 199 في الضفة الغربية، ووافقت السلطات الإسرائيلية في حزيران 2023 على بناء نحو 5700 وحدة استيطانية جديدة فيها. وفيما يتواصل العدوان الإسرائيلي على غزة، صادقت حكومة تل أبيب على إقامة 13 مستوطنة وبلدة زراعية ومدينتين في صحراء النقب، وبلدة في منطقة «غلاف غزة»، ووصلت وزارة المالية تحويل ميزانيات للاستيطان في الضفة الغربية، مع إطلاق حملة مسعورة لتسليح المستوطنين.

لرؤية البحر يجب تدمير غزة

فُكّكت المستوطنات الـ21 في غزة أثناء حكم شارون عام 2005. وعلى مدى السنوات التي تلت الانسحاب من القطاع، كان أعضاء حزب الليكود فضلاً عن أعضاء حركة المستوطنين الدينية بقيادة بن غفير وسموتريتش يحلمون بالعودة إلى غزة وإعادة بناء غوش قطيف (الأرض التي وهبها الله لهم). وقد وُضعت خطة إبادة غزة عام 2018 «لإحداث تغيير كبير في الوضع وإذا تطلّب الأمر شن حملة كبيرة في غزة»، بهدف تقسيم القطاع إلى قسمين واحتلال جزء كبير منه. وفي عام 2022، كتب المرشح الصهيوني ارنون سيفال في حملته الانتخابية «لقد حان الوقت لبدء التخطيط للعودة إلى غوش قطيف وإعادة بنائها».

> **من اهم نتائج «طوفان الاقصى» انه حرر المستوطنات الشمالية والجنوبية بنزوح نحو نصف مليون مستوطن لن يعودوا طالما بقيت المقاومة تطلق صواريخها**

اتخذت إسرائيل هجمات 7 أكتوبر ذريعة لتنفيذ خططها الاستيطانية في غزة، وترافق ذلك مع دعوات إلى إخلاء سكان القطاع في غضون 24 ساعة. وكتب وزير الخارجية الإسرائيلي السابق داني ايالون: «لا نقول لسكان غزة أن يُغرقوا أنفسهم في البحر... اذهبوا إلى صحراء سيناء والمجتمع الدولي سيبني لكم مدناً ويعطيكم الطعام». وتعالت الدعوات إلى ترحيل اهل غزة تحت شعار الإجراء الإنساني المناسب والضروري لـ«التقليل من عدد الضحايا المدنيين»!

وكتب أخرون أن الحرب على غزة تقدّم لإسرائيل فرصة تاريخية لا مثيل لها لإعادة تشكيل مشهد التهديد وتغيير التوازن الديموغرافي في المنطقة وتصحيح الظلم الأخلاقي والاستراتيجي المرتبط بخطة فك الارتباط بغزة في عام 2005، التي أخرجت حوالي 9000 إسرائيلي من بيوتهم في القطاع. وطالبت المستوطنة المتطرّفة دانييلا فيس، مؤسسة جمعية «نحلا» الاستيطانية، بتدمير غزة وتشريد سكانها واحتلالها وبناء المستوطنات فيها، قائلة: «الرؤية البحر علينا تدمير غزة. سكان غلاف غزة يريدون رؤية البحر، ولكي ترى البحر يجب أن لا تبقى منازل ولا عرب في غزة. غزة يهودية وليست مدينة لحماس، وهي جزء من أرض إسرائيل». وصرّحت وزيرة العدل السابقة إيليت شاكيد بأنه «بعد أن نحوّل خان يونس إلى ملعب لكرة القدم، علينا أن نستفيد من الدمار، ونقول للعالم عليكم أن تأخذوا حصتكم من الفلسطينيين: 20 ألفاً أو 50 ألفاً. نحن بحاجة إلى مغادرة مليوني شخص». وطالب كبار حاخامات حركة «حباد» أعضاء مجلس الحرب الإسرائيلي بعودة الاستيطان في غزة، وفرض السيطرة الأمنية الكاملة على القطاع. وتم تداول فيديوهات لأفراد في ما يُسمى «جيش الدفاع الإسرائيلي» وهم يتفاخرون بتفجير المنازل في حي الشجاعية شمال القطاع، ويقول أحدهم: «باتت لديكم إطلالة على البحر».

وبعد شهرين من بدء الحرب على غزة، عُقد في 11 كانون الأول الماضي، مؤتمر في تل أبيب يحمل عنوان «التحضير العملي للاستيطان في قطاع غزة»، نظّمته 15 منظمة استيطانية إسرائيلية ممولة من الحكومة الإسرائيلية. وبدأت التجهيز لمشاريع استيطان في غزة في حال تمّت السيطرة عليها. وبعد المؤتمر، نشرت إحدى الشركات الاستثمارية إعلاناً تجارياً عنوانه «بيت على الشاطئ ليس حلماً»، مع إشارة إلى أن عمال الشركة «يعملون الآن على استصلاح المنطقة والتخلص من النفايات وطرد الغزاة»! وتشير تقارير صحافية إلى أن هذه الشركات تعمل على مستويين لحشد دعم واسع لدى الجمهور الإسرائيلي والضغط على السياسيين. وهي تأمل أن تنجح خططها كما نجحت في الضفة الغربية. فالمستوطنات هناك بدأت منذ سبعينيات القرن الماضي، وهناك الآن أكثر من نصف مليون مستوطن يهودي في يهودا والسامرة (التسمية التوراتية للضفة الغربية). ووفق شبكة «سي أن أن»، فإن خطة إسرائيل الأصلية للحرب تهدف إلى تسوية غزة بالأرض.

المستوطنات في القانون الدولي

يدين المجتمع الدولي، باستمرار، سياسة الاستيطان الإسرائيلية في جميع أنحاء الضفة الغربية – بما في ذلك 14 مستوطنة في القدس الشرقية – واستولت على 750,000 دونم (185,329 فداناً) من الأراضي الفلسطينية. وأعلن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة مراراً وتكراراً أن إنشاء إسرائيل لمثل هذه المستوطنات «ليس له أي شرعية قانونية ويشكل انتهاكاً صارخاً بموجب القانون الدولي وعقبة رئيسية أمام تحقيق حل الدولتين والسلام العادل والدائم والشامل». بغضّ النظر عن ذلك، ارتفع عدد المستوطنين الإسرائيليين الذين تم نقلهم إلى الضفة الغربية (بما فيها القدس الشرقية) بشكل كبير من ما يُقدر بنحو 247,000 عند اتفاقات أوسلو، إلى أكثر من 700,000 عام 2023. قرّرت المدعية العامة للمحكمة الجنائية الدولية أن هناك «أساساً معقولاً للاعتقاد» بأن «أعضاء من السلطات الإسرائيلية ارتكبوا جرائم حرب ... في ما يتعلق، في جملة أمور، بنقل مدنيين إسرائيليين إلى الضفة الغربية».

> **سعى الصهاينة منذ بدء مشروعهم الاستيطاني إلى تفريغ فلسطين من سكانها، وهو ما ورد واضحاً في أدبيات الصهاينة**

وتحت بند تدمير الحياة في غزة، توثق المذكرة نية تدمير غزة وإعادة استيطانها بالقول: «إن الجيش الإسرائيلي – الذي يرفع العلم الإسرائيلي فوق حطام المنازل والبلدات والمدن الفلسطينية المدمّرة، بما في ذلك ميدان فلسطين في مدينة غزة نفسه، ومدفوعاً بدعوات من داخل الحكومة الإسرائيلية وخارجها إلى تسوية غزة بالأرض وإعادة إنشاء المستوطنات الإسرائيلية على أنقاض المنازل الفلسطينية، يدمر نسيج وأساس الحياة الفلسطينية في غزة. وبذلك تتعمّد إسرائيل أن تفرض على المجموعة الفلسطينية في غزة ظروف حياة يقصد بها تدميرها».

نجحت جنوب أفريقيا في عرض الاتهامات التي وجهتها إلى اسرائيل في سياق غير منفصل عن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي كما جاء في مقدّمة المذكّرة انه «من المهم وضع أعمال الإبادة الجماعية في السياق الأوسع لسلوك إسرائيل تجاه الفلسطينيين خلال فترة الفصل العنصري التي دامت 75 عاماً، واحتلالها الحربي للأرض الفلسطينية الذي دام 56 عاماً، وحصارها لغزة الذي دام 16 عاماً، بما في ذلك الانتهاكات الخطيرة والمستمرة للقانون الدولي المرتبطة بها، بما في ذلك الانتهاكات الجسيمة لاتفاقية جنيف الرابعة».

لقد جهدت إسرائيل منذ السابع من أكتوبر على تجريد «طوفان الأقصى» من سياقه التاريخي وفصله عما يجري في الضفة الغربية والقدس، ووصفه بأنه حدث أمني ضد مستوطنات غلاف غزة، واعتداء من قبل مجموعة إرهابية، غير مبرّر وغير أخلاقي. وجاءت مواقف الغرب الداعمة للكيان لتؤيد حق إسرائيل في الدفاع عن النفس وإدانة هجوم حماس، لأن الإدانة ستعطي الشرعية للمستوطنات بوصفها جزءاً لا يتجزأ من دولة إسرائيل. أما تبرير الاعتداء والتأكيد على أنه لم يأت من فراغ وليس وليد ساعته بل هو رد على جرائم الكيان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني منذ 75 سنة، فهو اعتراف بحق الوجود الفلسطيني وهذا ما لا تريده إسرائيل. ومن أهم نتائج طوفان الأقصى أنه حرّر المستوطنات الشمالية والجنوبية بنزوح نحو نصف مليون مستوطن، لن يعودوا طالما بقيت المقاومة تطلق صواريخها.

بعد أكثر من 100 يوم على بدء الحرب ومع تفاقم الكارثة الإنسانية في غزة، فشل الكيان الصهيوني في تحقيق أيّ من أهدافه في حربه على غزة. فقدرة المقاومة القتالية ما زالت في أوجها، والأسرى ما زالوا في قبضتها، والعدو يسجل خسائر ثقيلة. ومع ترقب ما سيصدر عن محكمة العدل الدولية، تراجع التأييد الغربي للكيان معلناً صراحة أن فكرة تهجير أهل غزة قسرياً مرفوضة، وأن إعادة استيطانها أمر غير مقبول.

إسرائيل لا تستوفي الشروط

حدّدت اتفاقية مونتفيديو لعام 1933 القواعد القانونية القائمة المتعلقة بحقوق الدول وواجباتها، وهي لا تنطبق على الموقّعين فحسب، بل على جميع الدول. ووفقاً للاتفاقية، فإن أي كيان سياسي لكي يتحول إلى دولة لا بد من أن تتوافر عناصر أساسية فيه: وجود إقليم بحدود معروفة، وسكانٍ مستقرّين فيه، وسلطة سياسية تفرض هيمنتها على الإقليم والسكان وتحافظ على الأمن والاستقرار. وبحسب الاتفاقية، فإن وجود الدولة هو مسألة واقعية، في حين أن اعتراف الدول الأخرى بها هو اعتراف إعلاني وليس عاملاً حاسماً في إنشاء أو تأسيس الدولة. بعد 75 عاماً، لم تستطع إسرائيل أن تحقق أياً من هذه الشروط.

في القانون

قانون الصندوق السيادي اللبناني للموارد البترولية

ثوب كبير على بلد صغير

قانون الصندوق السيادي اللبناني صدر وأصبح نافذاً لكن، هل سيكون من فئة القوانين التي توضع على الرفوف ام متمتعاً بكل مفاعيل النفاذ؟ هذا السؤال نطرحه بعد الاطّلاع على تفاصيل القانون التي تبيّن انه جيد، لكنه يفتقد الى من سيطبّقه، لان الإجراءات التي ينص عليها تحتاج إلى دولة ومسؤولين من فئة رجال الدّولة الذين يحترمون القانون ويؤمنون به وبمبادئه. القانون الذي اقر بتأخير يصل إلى 13 عاماً، ينص على تكوين الصندوق من محفظتين (محفظة الادخار والاستثمار ومحفظة التنمية) يفترض انهما تتضمنان اموالاً طائلة لا تحتمل التدخلات السياسية، لان مستقبل الاجيال سيكون في خطر. هذا الصندوق لا يخضع لقواعد الإدارة وتسيير الاعمال والرقابة التي تخضع لها مؤسسات القطاع العام. فهل يأتي بعد سنوات من يطالب بتعزيز الرقابة عليه وتعديل قانونه كما حصل مع مصرف لبنان؟ من جهة اخرى، وقبل بدء تطبيق القانون، من هي الجهة التي ستتولى تقاضي رسوم الاستطلاع في المياه البحرية بعد ان قرر القانون انها من واردات الصندوق؟ ام ستقوم وزارة الطاقة بالمهمة اسوة بالهيئة الناظمة للكهرباء؟ فالقانون نص على ان هناك فترة انتقالية تلي تاسيسه، إذ توضع في الصندوق عند تاسيسه جميع واردات الدولة من الانشطة البترولية فور تحصيلها وهذا يشمل مرحلة ما قبل الإنتاج، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر واردات الدولة من المسوحات الجيولوجية والجيوفيزيائية. من جهة ثالثة، فانه من الجيد في متن القانون ان الصندوق سيستثمر في الاصول المالية المحددة في تفويض الاستثمار نيابة عن الدولة بموجب قانون وليس بقرار من مجلس الإدارة ولا مجلس الوزراء . المشكلة في القوانين السيادية ليست في نصوص القوانين، بل في كيفية تطبيقها والالتزام بها في إدارة الصناديق السيادية، واعتماد الشفافية تطبيقاً وليس في النصوص فقط، إذ يقتضي أن ينعكس ذلك بصورة واضحة في مراعاة تطبيق القواعد المالية للإيداع والسحب من الصندوق والاولويات والخيارات التوظيفية

صادف علوية

أقر مجلس النواب اللبناني في جلسته المنعقدة في 14 و2023/12/15 قانون الصندوق السيادي اللبناني، وصدر بالرقم 320 تاريخ 2023/12/22، ونُشر في الجريدة الرسمية في العدد 53 تاريخ 2023/12/28. مبدأ اعتماد صندوق سيادي مختص بالعائدات النفطية ليس جديداً على القانون اللبناني، فالصندوق السيادي للنفط منصوص على مبادئه العامة في قانون الموارد البترولية في المياه البحرية، لكنه كان يحتاج إلى قانون تأخّر صدوره 13 عاماً.

الكلام عن صندوق سيادي للنفط ليس اختراعاً جديداً على الساحة القانونية اللبنانية، فهو وارد بالاسم في القانون الرقم 132 تاريخ 2010/8/24 (الموارد البترولية في المياه البحرية)، وينص على أن «تودع العائدات المحصّلة من الدولة الناتجة من الأنشطة البترولية أو الحقوق البترولية في صندوق سيادي»، كما ينص في المادة 3 على «مبادئ إدارة البترول، على أن يحدد نظام الصندوق ونظام إدارته الخاصة، ووجهة استثمار وتوظيف واستعمال العائدات بموجب قانون خاص بالاستناد إلى مبادئ واسس واضحة وشفافة للتوظيف والاستعمال، تحتفظ عبرها الدولة برأس المال وبجزء من عائداته بمثابة صندوق استثماري للأجيال المقبلة، وتصرف الجزء الآخر وفقاً لمعايير تضمن حقوق الدولة من جهة، بما يجنّب الاقتصاد آية انعكاسات سلبية محتملة على المدى القصير والطويل».

كما تناول القانون الرقم 84 الصادر في 10 تشرين الأول 2018 (دعم الشفافية في قطاع البترول) الصندوق السيادي قبل صدوره، فنص على أنه يتوجب على مجلس الوزراء ووزارة المالية والجهة المناط بها إدارة الصندوق السيادي الإفصاح عن عائدات الأنشطة البترولية التي تُسجّل في الصندوق السيادي والعائدات المسحوبة منه، في الحالات المسموح بها وفقاً لقانون الصندوق، والمبالغ المخصصة للاستثمار المسحوبة من الصندوق مع تحديد وجهة الاستثمار.

ما هي اهمية وجود قانون يرعى الصندوق السيادي؟

ينظم القانون إدارة الصندوق السيادي اللبناني واللجان والمديريات والأقسام التابعة له وقواعده المالية المتعلقة بإيداع الأموال وسحبها وطريقة ووجهة استثمار وارداته، استناداً إلى مبادئ واسس واضحة وشفافة للتوظيف والاستثمار والاستعمال.

ويتمتع الصندوق بالشخصية المعنوية وبالاستقلالين الإداري والمالي. ويعتبر شخصاً من أشخاص القانون العام له طبيعة خاصة، إذ يخضع لأحكام هذا القانون وللنصوص التنظيمية الخاصة به التي تصدر وفقاً للأصول.

ما هو دور الصندوق ومن يديره؟

يدير الصندوق السيادي اللبناني مجلس إدارة يرأسه رئيس مجلس الإدارة، وهو الرئيس التنفيذي للصندوق الذي يعينه مجلس الوزراء ويتخذ صفة مدير عام الصندوق أيضاً، ويعاونه الفريق الإداري المؤلف من رئيس مجلس الإدارة/ مدير عام الصندوق ورؤساء المديريات والأقسام.

يتولى الصندوق إدارة الأموال المحصّلة من قبل الدولة من واردات الأنشطة البترولية التي تعود ملكيتها إلى الدولة اللبنانية، ولا يخضع لقواعد الإدارة وتسيير الأعمال والإدارة والرقابة التي تخضع لها مؤسسات القطاع العام، ولا سيما النظام العام للمؤسسات العامة أو رقابة مجلس الخدمة المدنية والتفتيش المركزي إلا في حدود ضيّقة.

ويتولى إدارة الصندوق مجلس إدارة مؤلف من ثمانية أعضاء لبنانيين من ذوي الخبرة، يتم تعيينهم، لمدة خمس سنوات، قابلة للتجديد مرة واحدة، بموجب مرسوم يُتخذ في مجلس الوزراء بناءً على اقتراح مجلس الخدمة المدنية بعد استشارة مؤسسة توظيف دولية خاصة، ويُحال حكماً إلى مجلس الوزراء عبر رئيس مجلس الوزراء وزير المالية - وزير الدولة لشؤون التنمية الإدارية، على أن يسمى في مرسوم التعيين رئيس مجلس الإدارة ونائبه من بين الأعضاء المعينين، ويشغل رئيس المجلس صفة مدير عام الصندوق أيضاً.

> **يتولى الصندوق إدارة الاموال المحصّلة من قبل الدولة من واردات الأنشطة البترولية التي تعود ملكيتها إلى الدولة اللبنانية**

ويشترط القانون أن يكون أعضاء مجلس الإدارة ورئيس المجلس لبنانيين منذ أكثر من عشر سنوات، وأن يكونوا قد تجاوزوا الخامسة والثلاثين ومن أصحاب الاختصاصات المرتبطة بعمل الصندوق المالية والاقتصادية والقانونية وخبرات كبيرة.

لكن اللافت أن القانون اشترط في العضو أن يمتلك خبرة عالية تشغيلية في بنية تحتية أو أصول عقارية أو أسهم خاصة ذات رأس مال يفوق مليار دولار اميركي لا تقل عن عشر سنوات.

ما هي واردات الصندوق ؟

تتألف واردات الصندوق السيادي من جميع واردات الدولة من الأنشطة البترولية كما هي معرّفة بموجب القانون الرقم 2010/132 إضافة إلى:

1. عائدات الاستثمار على الأصول البترولية.
2. عائدات الإتاوة المحصّلة من قبل الدولة على البترول المنتج.
3. العائدات الضريبية المحصّلة من قبل الدولة وفقاً لقانون الأحكام الضريبية المتعلقة بالأنشطة - عائدات حصة الدولة من بترول الربح.
4. المبالغ التي تحصّلها الدولة بنتيجة التنازل عن نسب مشاركتها كصاحب حق في اتفاقيات الاستكشاف والإنتاج إلى شركات بترولية مؤهّلة.
5. رسوم المنطقة المحصّلة من قبل الدولة من أصحاب الحقوق البترولية.
6. رسوم تراخيص الاستطلاع.
7. عائدات حصة الدولة من بيع أو تحويل أو ترخيص حقوق الاطلاع على البيانات الناجمة عن تنفيذ رخص الاستطلاع والعائدات الناجمة عن العقود المتعدّدة الزبائن المبرمة من الدولة اللبنانية المحصّلة قبل أو بعد نفاذ هذا القانون.
8. العائدات المحصّلة من المعاملات المالية المرتبطة بالأنشطة البترولية.
9. عائدات الاستثمار على الأصول البترولية.
10. أي عائدات أخرى ناتجة أو يمكن أن تنتج من أي نشاط بترولي متعلّق بالموارد البترولية أينما وجدت سواء على الأراضي اللبنانية أو في المياه البحرية اللبنانية.

مَن يتولى التدقيق في اعمال الصندوق ومراقبة حساباته؟

يعيّن مجلس الوزراء مدققاً خارجياً مستقلاً معترفاً به دولياً لمراقبة حسابات الصندوق. يرفع المدقّق تقريره السنوي إلى مجلس الإدارة الذي يرفعه بدوره مرفقاً بتقريره السنوي الداخلي إلى مجلس الوزراء ومنه إلى مجلس النواب لإقراره وفقاً للأصول، على أن ينشر بعدها على الموقع الإلكتروني للصندوق.

كما يحق لديوان المحاسبة، إضافة إلى ممارسة سلطة الرقابة المؤخرة على الصندوق، تعيين مدقق خارجي مستقل معترف به دولياً يقدم تقريراً بذلك إلى مجلس النواب. ويحدد مضمون التقارير السنوية كما وتواريخ نشرها بموجب مرسوم يتخذ في مجلس الوزراء.

> **يحق لديوان المحاسبة إضافة إلى سلطة الرقابة على الصندوق تعيين مدقق خارجي مستقل معترف به دولياً**

ما هي قواعد الإيداع في المحفظتين المالیتين؟

تودَع العائدات المالية في محفظتين: محفظة الادخار والاستثمار ومحفظة التنمية للصندوق السيادي وفقاً لقواعد الإيداع الآتية:

1 - محفظة الادخار والاستثمار

تودع في محفظة الادخار والاستثمار جميع واردات الدولة من الأنشطة البترولية باستثناء العائدات الضريبية، على أن يُسحب جزء من عائداتها وفقاً لقواعد السحب المحددة في القانون ويُفتح لها حساب خاص في مصرف لبنان.

2 - محفظة التنمية

تودع في محفظة التنمية العائدات الضريبية من الأنشطة البترولية بهدف حفظها واستثمارها، على أن يُسحب جزء منها لغايات إنمائية وفقاً لقواعد السحب المحددة في القانون، ويُفتح لها أيضاً حساب خاص في مصرف لبنان.

ما هي قواعد السحب من محفظتي الصندوق؟

تخضع عمليات السحب من محفظتي الصندوق للشروط الآتية:

1 - من محفظة الادخار والاستثمار:

لا يجوز سحب أي مبلغ إلا من أجل استثماره وفقاً للشروط المحددة في تفويض الاستثمار، وتبقى أموال المحفظة مجمدة بهدف تكوين رأس مال احتياطي، أما إذا تجاوزت عائدات الاستثمار قيمة الدين العام بالعملة الأجنبية فيُحوّل الفائض حكماً إلى محفظة التنمية.

وقد حدد القانون أنه يجب ألا تقل نسبة الاستثمار خارج لبنان عن 60% من مجموع أصولها، وأنه يجب ألا تقل نسبة الاستثمار داخل لبنان من محفظة الادخار والاستثمار عن 25% من مجموع أصولها وعائداتها.

2 - من محفظة التنمية: لا يجوز السحب من عائدات محفظة التنمية خلال سنة مالية معينة إلا في حال إقرار موازنة الدولة حسب الأصول، إذ تُلحظ فيها المبالغ المقرر سحبها وإنفاقها بشرط أن لا تتجاوز قيمة هذه المبالغ ثلث إجمالي أصول المحفظة.

إلا أنه لا يجوز إجراء أي سحب من محفظة التنمية في السنوات الثلاث الأولى من تاريخ أول إيداع للعائدات - فيها، وتجمّد هذه العائدات بهدف تكوين رأس مال احتياطي.

ويحظّر استعمال أموال الصندوق لتسديد ديون الدولة، إلا إذا أظهر قطع حساب الموازنة فائضاً أولياً في وارداتها على نفقاتها فيمكن استخدام عائدات محفظة التنمية لهذا الغرض.

في الواجهة

صمود الجنوبيون بالتكافل الاجتماعي

سمر فرحات

أكثر من 80 ألف نازح اضطروا لمغادرة قراهم ومنازلهم في جنوب لبنان، بعد توسّع الاستهداف الصهيوني للقرى المحاذية للحدود اللبنانية - الفلسطينية التي تشهد عمليات يوميّة بدأتها المقاومة الإسلامية ضد الاحتلال قبل ثلاثة أشهر وإسناداً للشعب الفلسطيني في غزة. هذا التوسّع في الاستهداف طاول بيوت المدنيين في بعض القرى، وأدّى إلى استشهاد عدد منهم، ما دفع بسكانها إلى النزوح إلى أماكن أكثر أمناً. وفي ظل الأوضاع المعيشية الصعبة، يواجه المعنيون بملف النازحين تحديات عدة لجهة تأمين أماكن للسكن، وتأمين الطبابة والتعليم وتوفير فرص للعمل. فكيف يواجه النازحون عن جنوب لبنان الظروف الصعبة؟

«ما كنت ناوي أترك بيتي ومزرعتي، بس العيلة أصرّت»، يقول أحمد، احد النازحين عن بلدة كفركلا الحدودية، بمرارة بعدما نزح وعائلته المؤلّفة من ثلاثة أفراد إلى إحدى قرى محافظة النبطية، تاركاً قريته التي لم يغادرها إلا في عدوان تموز 2006. ويضيف أن «الصمود مع بداية العدوان كان ممكناً، إلا أن استمرار قصف بيوت المدنيين وإقفال المحال التجارية دفعني للمغادرة».

أحمد واحد من بين آلاف من النازحين الذين اضطروا مع بداية الأحداث في الجنوب إلى ترك قراهم وبيوتهم وأرزاقهم بعد زيادة الاستهداف الصهيوني. وأشار تقرير للمنظمة الدولية للهجرة (IOM) صدر قبل أيام إلى زيادة أعداد النازحين بنسبة 8% بين الثاني والتاسع من كانون الثاني الجاري. وأضاف أن نحو 80% من النازحين يقيمون لدى عائلات مضيفة، و17% استأجروا منازل، وانتقل 1% إلى مساكنهم الثانوية فيما يعيش نحو 2% منهم في مراكز إيواء جماعية.

وقد ألقت الأوضاع السياسية والاقتصادية بثقلها على ملف النازحين. فرغم إصدار حكومة تصريف الأعمال «خطة الطوارئ الوطنية» لحماية المواطنين من تداعيات العدوان الإسرائيلي، إلا أن تنفيذها اصطدم بكثير من المعوقات. فاقتصرت المساعدات على بعض المواد الغذائية والطبية بالتعاون مع بعض الجمعيات الأهلية، وشكّلت وحدة إدارة الكوارث مركزاً لإدارة شؤون النازحين في مدينة صور، حيث استقبلت بعض المدارس الرسمية عدداً من النازحين وتمّ تأمين المستلزمات الضرورية لهم.

وفي محافظة النبطية، قال عضو المجلس البلدي في المدينة خضر قديح لـ«القوس» إنه «منذ اليوم الأول للعدوان الصهيوني، شكّلنا في النبطية خلية أزمة ضمّت هيئة إدارة الكوارث وفريق التدخل السريع. وبالتعاون مع مجلس الجنوب والأحزاب بدأنا بتأمين وصول النازحين عن قراهم، ومتابعة أمورهم من تأمين بيوت سكنية مجانية وحصص غذائية وأدوات نظافة». وأوضح أن النبطية وجوارها استقبلا 724 عائلة. وأضاف أن الحركة الاجتماعية، بالتعاون مع اليونيسف، عملت على تأمين مقاعد دراسية للطلاب النازحين في المدارس الرسمية ضمن المناطق الآمنة لتأمين استمرارية العام الدراسي. وفي ما خصّ الطبابة، عملت بعض المستشفيات والمراكز الطبية في المنطقة على تأمين طبابة مجانية وبونات صحية وتوزيع بعض الأدوية مجاناً. وفي إطار الدعم النفسي الاجتماعي، «استقبلنا 200 حالة في تشرين الثاني، و211 حالة في كانون الأول».

> **زاد عدد النازحين بنسبة 8% بين الثاني والتاسع من كانون الثاني الجاري**

التضامن والتكافل الجنوبيان انعكسا على الأرض اهتماماً شعبياً بتأمين احتياجات النازحين، فقدّمت عائلات كثيرة منازلها لاستقبال النازحين عن مختلف القرى الحدودية، وتخلّى البعض الآخر عن سكنه وانتقل للعيش مع أقاربه. وتحوّلت اللجان الشعبية في القرى والبلدات في نطاق صور والنبطية إلى خلية نحل تحت إشراف البلديات والأحزاب لمتابعة تأمين الاحتياجات اليومية الضرورية، خصوصاً المواد الغذائية ووسائل التدفئة. كما تولّت جمعيات محلية، من بينها «وتعاونوا» على توزيع مساعدات من حصص غذائية، وفرش، وأدوية.

هذا التكافل أسهم في تخفيف عبء النزوح ومرارته، وساعد النازحين على التأقلم السريع مع الحياة المستجدّة. الحاجة أم علي الخمسينية والتي نزحت برفقة زوجها إلى إحدى القرى البعيدة نسبياً عن الحدود، تشير إلى أنه رغم مرارة البعد إلا «أنني أشعر وكأني بين أهلي وناسي».

محكمة العدل الدولية في لاهاي
يمكن أن تفرض وقف اطلاق النار في غزة

يعقد قضاة محكمة العدل الدولية في لاهاي اجتماعات متتالية منذ 12 كانون الثاني الجاري للتشاور قبل اتخاذ قرار بشان الطلب الذي كانت قد تقدمت به جمهورية جنوب افريقيا الى المحكمة بإصدار امر قضائي بوقف "إسرائيل" اطلاق النار في غزة كإجراء موقت لحين بت المحكمة بشكوى الإبادة الجماعية التي يرتكبها الجيش الإسرائيلي منذ 106 ايام في القطاع المحاصر

من هم قضاة محكمة العدل الدولية؟

رئيسة المحكمة: الاميركية جوان دونوغيو
نائب رئيس المحكمة: الروسي كيرلل غيفورغيان
المغربي محمد بنونة
الاسترالية هيلاري تشارلزورث (عميد انتخابها)
الجامايكي باتريك روبنسون

هؤلاء القضاة تنتهي ولايتهم في 6 شباط 2024

القضاة الجدد:
الرومانية بوجدان اوريسكو
الاميركية سارة كليفلاند
المكسيكي خوان فيردوزكو
الجنوب افريقي دير تلادي

الصومالي عبد القوي احمد يوسف
الصينية شوا هانكين
الاوغندية جوليا سيبوتيندي
الفرنسي روني ابراهام
السلوفاكي بيتر توميكا
الهندي دالفير بهانداري
الياباني ابوساوا يوجي
اللبناني نواف سلام
الالماني جورج نولتي
البرازيلي ليوناردو كالديرا برانت

الجهاز القضائي الرئيسي للامم المتحدة	إذا امتنع احد المتقاضين في قضية ما عن القيام بما يفرضه	جميع اعضاء الامم المتحدة هم اطرافاً في النظام
(المادة 92 من ميثاق الامم المتحدة)	عليه حكم تصدره المحكمة، فللطرف الاخر ان يلجا إلى مجلس الامن. ولهذا المجلس، إذا راى ضرورة لذلك ان يقدم توصياته او يصدر قرارا بالتدابير التي يجب اتخاذها لتنفيذ هذا الحكم. (المادة 94-2 من الميثاق)	الاساسي لمحكمة العدل الدولية (المادة 93 من الميثاق)
تتولى المحكمة الفصل طبقا لاحكام القانون الدولي في النزاعات القانونية التي تنشا بين الدول		يتعهد كل عضو من اعضاء الامم المتحدة الامتثال لاحكام المحكمة في اية قضية يكون طرفاً فيها (المادة 94-1 من الميثاق)

إعداد احمد مدلج

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان
alqaous alqaous22 al_qaous alqaous
01/34 99 54
www.alqaous.com info@alqaous.com